إذا أعجبك الكتاب، فرجاءً حاول شراء النسخة الورقية
تذكر أن الكتاب العرب معترّون والكل يستوطي حيطهم
دعمنا لهم يضمن إستمرار عطائهم
(أبو عبدو)

فواز حداد

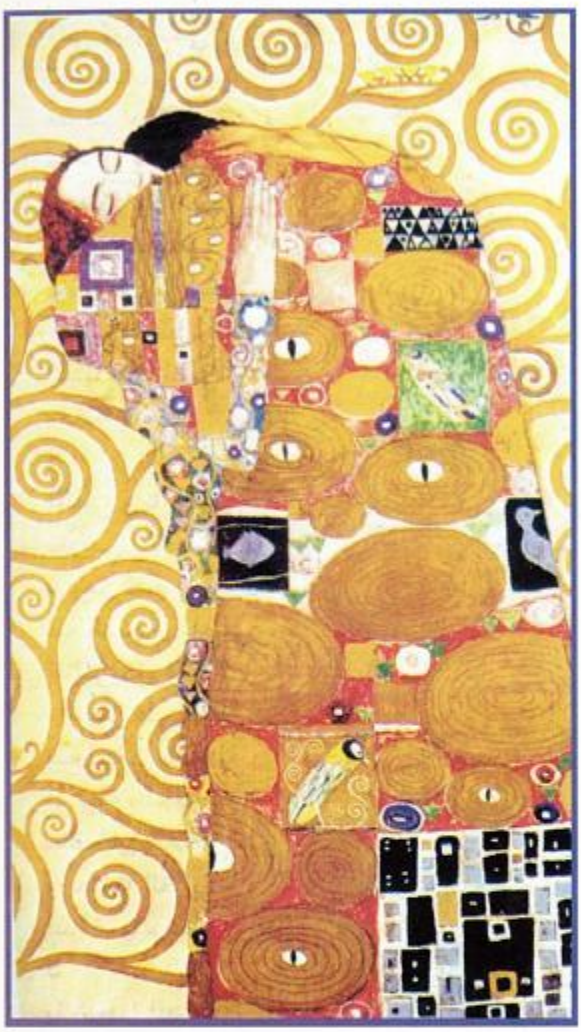

الولد الجاهل

دار الجسور الأدبية

http://abuabdoalbagl.blogspot.com

أبو عبدو البغل

Abu Abdo Albagl

١٦١

الولد الجاهل

(رواية)

Abu Abdo Albagl

فـــواز حـــداد

الولـــد الجـــاهـــل

(رواية)

Abu Abdo Albagl

فواز حداد
الولد الجاهل (رواية)
الطبعة الاولى ٢٠٠٠
جميع الحقوق محفوظة
دار الكنوز الادبية
ص.ب ٧٢٢٦ــ ١١
هاتف / فاكس ٧٣٩٦٩٦ ــ٠١
بيروت ــ لبنان

Abu Abdo Albagl

١. الحالة

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

في حوالي الساعة العاشرة صباحاً من بدء الدوام الرسمي، تسلم الشاب حسن لطفي الموظف في ديوان مديرية التربية والتعليم، قراراً بانتدابه إلى وزارة الداخلية، في حين كان ينتظر أمراً بنقله إلى وظيفة مغايرة تماماً.

بدا القرار الذي لم يكن يتوقعه، مصيبة هبطت عليه، تقبلها بثبات وخيبة مريرة، حاول أن يتجاوزها بخفة.

" ثمة خطأ في أمر النقل، إما أن اسم المنتدب ليس اسمي، أو أن الوظيفة التي انتدبت إليها ليست هي." قال لنفسه.

على أن الكلمات المقصودة التي عوَّل على تخطئتها، كانت واضحة رغم الغبش. الاسم: حسن لطفي. الوزارة: الداخلية.

وفقد توازنه قليلاً.

توجس شيئاً، تلفت حواليه، الموظفون منكبون على دفاتر السجلات، المراجعون يلحّون في السؤال دونما صوت. بحلق، السقف ينخفض ويكاد يلامس رأسه، الجدران تنضغط، الخزائن تتقلص، الغرفة تتكور.

كان المنظر الذي يراه، هو الذي فقد وزنه وتوازنه.

مقدمة الغرفة تميل نحو الأسفل كأنها تتأهب للانزلاق، وريح قوية تهب. يحبس أنفاسه. الأقلام تتدحرج، الموظفون يمدون أيديهم يحاولون إمساكها قبل أن تسقط، الأوراق تتطاير من على الطاولات.

إنه الخطر إياه دهمه على حين غرة.

في غضون تلك اللمسة المرتبكة، لم يغب عنه أنه هو المسبب لهذه الفوضى، وربما بعد قليل، الكارثة، يشاركه هذا الذي ظهر الآن، في وقته

المناسب وغير المناسب، الرجل الذي اعتاد أن يطلق عليه الرجل الضـــالع، يتقدم عكس الريح، مموهاً شخصيته بمصنف سميك، يحمله تحـــت إبطـــه، مكبوساً بقامته، يذرع الغرفة نزولاً وصعوداً، لا يلوي على شيء، فيمـــا ترتفع مقدمة الغرفة، وتتماثل نحو الانسحاب من الشـــرفة الـــتي فتحـــت ضلفاتها على مصراعيها، والستائر ترفرف عالياً كشراع في الفضاء.

تراخت أطرافه، على شفا ولوج منظر بات على وشك الإقـــلاع في سماء فاتحة الزرقة. "هل أفلح في تجنبه؟! " سأل نفسه.

تشبث بمقعده، منتظراً إبحار المكان في الماء والسماء، وانقشاعه عـــن هباء، وفسحة من فراغ يكتفي فيها بوهم مؤقت وبلا متاعب، وكأنـــه لم يتبلغ شيئاً بعد والقرار صفحة بيضاء، وقد يسعفه السكون بنسج قرار آخر ارتجاه قبل شهرين.

قرار، كان أمنية. إذ بعد شهور من التصميم والدأب علـــى إرســـال قصصه بالبريد المسجل إلى الجرائد والمجلات، نشرت له مجلـــة منوعـــات أسبوعية قصة قصيرة، ورأى اسمه، ولأول مرة، مطبوعاً بالبنط العريـــض وتحته فقرة صغيرة ترحب به ككاتب واعد في ميدان القصـــة، وبتصميـــم أكبر عزم على أن تكون محطته التالية في النشر مجلـــة الأديـــب اللبنانيـــة. عززت طموحه مسودات قصصه المودعة في الأدراج، ولمحـــات قصصيـــة أخذت تنهال عليه وتحتدم في ذهنه، وحلم قارب أن يتحقق ســـيقوده إلى المجد الأدبي، حلم اتسع على عمل بلا أفق، ووزارة لا تتيح له المزيد مـــن الانغماس في القراءة. تقدم بطلب إلى وزير التربية يرجوه الموافقة على نقلـــه إلى المركز الثقافي في أبي رمانة. هناك بين جدران تمتلىء بآلاف الكتـــب، ويجثم على قاعاتها الصمت والوقار، وتسري في أرجائها أصوات صفحات تُقلب وهمس خافت، وبمتناول اليد مجموعات قصصية لأســـاطين القصـــة القصيرة في العالم تشبع نهمه للمطالعة، من هناك ينطلق في دنيا الأدب.

والأشخاص يراوحون في أمكنتهم برتابة، متقافزين وجاثين بتـــوازن بطيء، كانت الغرفة المكفهرة بالسراب قد أوقفت اندفاعتها، متأرجحـــة

على حافة الشرفة، وتتهيأ للعودة إلى مجراها كي تربض في مكانها.
بيد أنها لم تجد متسعاً.

كان المكان الذي تركته شاغراً قد أصبح مشغولاً بقاعات تتصدع جدرانها وتتداعى أرضاً، وخزائن تنفرط مفصلاتها، تلفظ كتباً تتبعثر ملازم وأغلفة فوق أحجار وأتربة، يبرز منها رأس عجوز التصقت على نظارتيه السميكتين صفحتان، ورجل ملتح أطبق على صدغيه مجلد ضخم، وآخر عض على لسانه وعيناه مسمرتان على كلمتين، أما الرجل الضالع فقد كان منحنياً بجذعه، ينتزع من الركام المجلدات الأربعة لألف ليلة وليلة، ينفض عنها ما علق عليها من أتربة.

"إنها المجلدات نفسها التي اشتريتها قبل سنوات بالتقسيط من مكتبة في سوق المسكية " قال لنفسه متعجباً.

الغبار يخفق متشابكاً مع عناوين تتهادى حروفها فوق هامات قراء يطالعون صفحاتهم الأخيرة وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة.

وقدماه تغوصان في ملح، آثر أن يبقى في حدود توقع صارم ومعقول ... مجرد يوم أسود ستتلوه أياماً سوداء. مؤثراً ألا ينجب لإغراء اليأس أو الأمل، وأن يصيغ حججه ضد قرار جائر، لم يكن مجحفاً بطموحاته وحدها، بل ومسيئاً إلى مبادئه أيضاً ... وزارة التربية والتعليم، وزارة علوم ومعارف وأخلاق، ومناهج دراسية كانت رغم تدني مستواها في السنوات الأخيرة، هدفها محو الأمية. أما الداخلية، فكانت عنواناً للظلم والفتك بالطلبة والعلم والمتعلمين، ومهما كانت التغييرات التي أصابتها مؤخراً، نحو الأسوأ أو نحو الأفضل، فالداخلية تبقى رغماً عنها، شرطة وعصي وكلبشات وكركونات، وشتان بين أن يكون رجل العلم أو رجل الظلم.

وما زال محصوراً في حيز غير مأمون، قدم في ملح وقدم في ماء، لم يتخط منظرين، الأول انحشرت مقدمته في الشرفة، والثاني تمزقت سكينة وداعته وانطرح مهشماً، والرجل الضالع يجوس بينهما ينوء بالمجلدات

الأربعة ومصنف تحت إبطه. حاول جاهداً كبح ضيق أخذ بخناقه وقد يفقده رشده ويقذف به إلى تراكيب شائكة وربما مخيفة سيدفع ثمن عودته منها باهظاً. أغمض عينيه عن منظرين تداخلا في منظر واحد، كان استمراراً متقطعاً لمشاهد متباعدة سبقت، فاجأته أول مرة منذ عشر سنوات في يوم تشريني ...

عندما قرع جرس البيت، فتح الباب وطالعه شرطي ومعه مختار الحارة. الشرطي يسأله عن اسمه، المختار يمسح عرقه بمنديل. الشرطي يسأله عن اسم أبيه، المختار يعصر المنديل في كفه. الشرطي ينهي إليه حادث انقلاب باص على طريق حمص، المختار يبلع ريقه وبرفق يعلمه بموت والديه. لبث صامتاً ودمعتان احترقتا في عينيه. في المستشفى الوطني، أشفق عليه المختار من الدخول إلى غرفة البراد. من بعيد لمح والديه نائمين وملطخين بالوحل والدم. تبرع المختار مع أهالي الحارة بالقيام بالإجراءات شهادة الوفاة، الجنازة، الدفن. وأصبح يتيم الأبوين خلال ساعات. بعد رجوعه من المقبرة إلى البيت، عاد أبواه من السفر، لم يسألهما. لِمَ هما على قيد الحياة؟! كان قد نسي الشرطي والبراد والمختار والمقبرة. أخذا يلملمان حوائج وأغراض ساعدهما في حزمها. أمه تحتضنه وتبكي وأبوه يربت على كتفه. في ذلك اليوم الخريفي لمح الرجل الذي دعاه فيما بعد بالرجل الضالع يبرز من عمق الدهليز وكان شاباً، استعجلهما أو استعجله، السيارة جاهزة، ظنه سائق سيارة أجرة. كانوا على أهبة المغادرة عندما دخل عدنان بك ومنع رحيلاً كاد أن يتم، أو أنه لم يمنعه، كان هناك ما جرى وانتهى قبل دخوله، حينما أحاطته أمه بذراعها وأمسك أبوه بمعصمه. لم يدر هل قال لهما أم خطر له أنهما ميتان؟! واختفى أبواه وسائق سيارة الأجرة، أحس انه ارتكب هفوة، تلفظ بها وربما لم يتلفظ بها، وفات الأوان، أماتهما وهما أحياء. لو أنه لم ... لأحرز حياة لم يفقدهما فيها.

إنه، منذئذ تعاوده حالة لم يعتورها الصدأ ولا الوهن، إذ عقب أمر لم

يكن بالحسبان، يحس بارتخاء في أطرافه، غبش في الرؤية، شريان يتوتر في صدغه، جفاف في حلقه، توهج في ذهنه وسكون مطبق. ينجلي الغبش عن مشهد يتشكل بحيوية فائقة تصب فيه وبغزارة أشياء ترمى دفعة واحدة أو على دفعات، تنبض بصخب مكتوم، تفسح لها المجال جدران تتراح عن معالم وأشخاص، ما هي إلا مقدمة يتفرج عليها واجف القلب ورابط الجأش وصاحي الذهن، وذلك الرجل الضالع بالمشاهد كلها بلا استثناء لم يتغيب عن واحد منها قط.

في المرات الأولى تهيب حالةُ الركون إليها، مغامرة لا يعرف مداها ولا عواقبها، تهيباً يفقده رباطة جأشه ويسقطه في إغماءة يصحو منها متعباً ومكدوداً، وأحياناً مفجوج الرأس، لكنه بعد أن أتقن الإحساس بأعراضها والتنبؤ بما سيتلوها، يبارح المشهد بلا تردد، من غير أن يخدعه تنوعه، ينتفض منه في بدايات إرهاصاته، قبل تشكله بكامله، وبجهد يسير ... أمر لا يستحق الإغماء. ناجياً من نوبة علاماتها لا تخطئ وخيلل !و تهاون حياله مستسلماً سيبتلعه لا محالة. لن يخسر شيئاً، فرصته الكبرى فرّط بها في أول تجربة له، بعدها لم تعد المشاهد التي تتراءى له، سوى أنها لن تجود عليه بفرصة مماثلة، كانت وحيدة ولا تعوض إلا بها، أضاعها في مشهد احتواه لأول مرة وآخر مرة، كان فيه جاهزاً وراضياً. هناك في باحة الدار، أمه تحيطه بذراعها، وأبوه ممسك بمعصمه على أهبة المغادرة.

حالما وصل إلى مطعم لوازيس سرد على صديق سمير اصطفاني ما جرى منذ تبلغ أمر انتدابه وإلى ما قبل لحظات.

" ... حتى الشارع لم يكن كما عهدته، كان عريضاً مترامي الأطراف وبلا نهاية. كدت أن أتوه فيه لولا أنني رأيتك "

ألقى سمير اصطفاني نظرة على شارع بور سعيد.

"أليست الحالة نفسها؟ "

"لكنها عاودتني مرتين خلال دقيقتين !! "

كان صديقه مطلعاً على حالته بحذافيرهـــا وحرّضـــه دائمـــاً علـــى الاسترسال فيها إلى النهاية، وانتقد تهيبه منها. وإلا ما معنى حالة نتكلم عن متاعبها إذا كنا نجهل نتائجها؟..! ولأنه وجده لا يرقى إليها برد اهتمامـــه بها. والآن أثارته الحالة التي تفاقمت إلى حالتين، غرفة تنعصر وتعلـــق في شرفة، وقاعة مطالعة تتقوض فوق رؤوس الجالسين فيها، ورجل يـــهرول بينهما!!

" الحالة تتقدم وأنت تتراجع " عبر اصطفاني عن إعجابه بافتتان.

لم يكن هذا الرأي غريباً على صديقه الشاعر الذي جمعته به غوايـــة الأدب في الجامعة، وبعد تخرجهما لم يتوظف اصطفاني، شجعه ثراء أبيـــه على أن يكون عاطلاً عن العمل ووفياً للشعر ومارس بطالته في المقـــاهي والمطاعم بارتياح وجمالية. كان باستمرار نقيضه الحميـــم والنموذجـــي، شاعراً يكتب قصائد معقدة ومشوشة وبالإجمال غير مفهومة. أمـــا هـــو القصاص فيكتب قصصاً بسيطة وواضحة وبالإجمال مفهومة. تضاد لـــو كان عادلاً لكانت هذه التخيلات من نصيب الشاعر وليس القصاص.

"حالتي عبارة عن تهيؤات عديمة الجدوى، تبدو ممتعة وطريفة، لكنـــها غير شعرية على الإطلاق، ففي حين يحتم علي موقـــف جـــاد التحلـــي بالواقعية، يتدخل الخيال بمشاهد هاذرة وغير معقولة. اليوم، لـــو تركـــت نفسي على سجية خيالاتي لهويت من الشرفة أو اختنقت في تـــراب مـــن هواء."

"ماذا لو كنت ما تزال بعد في الحالة؟"

"حتى هذه اللحظة؟! "

"مثلاً هل أنت متأكد أنني جالس معك؟"

وتظلل أصطفاني بغبش خفيف.

"لا أدري" نبس متردداً.

وإذ رأى اصطفاني يبتسم باستخفاف تلاشى الغبش.

"أنا مريض بتدفق في الخيال وفي غير أوانه" شخّص حالته بيأس.

"دعه" وطوح أصطفاني بيده إلى الشارع العاري تحت الشمس "أهــذا منظر؟!" وكأنه يدعوه إلى إكسائه بشيء ما أكثر طلاوة من مجرد شجرتين ورصيفين وثلاث سيارات وباصين ومارة يتعرقون.

"يجب أن أعالج مشكلة انتدابي "

"التحق بالداخلية " رد عليه اصطفاني معاقباً.

"الاستقالة أهون "

"لا تلتحق بالداخلية "

"كيف؟!"

فكر أصطفاني نيابة عنه.

"ألجأ إلى قريبك عدنان بك"

كان قد دله على حل واقعي لمشكلته.

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

٢ـ قصة ضعيفة

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

ربطت حسن لطفي بعدنان بك لطفي صلة قربى بعيدة، ابن خالة لإبنة عمة أبيه، أو شيء ما شبيه بهذا. سمع به مراراً في طفولته، ودائماً محاطاً بأبهة منصب رفيع يتردد على الألسنة بإكبار. عندما تيتم وأصبح بلا معيل ولا معين اعتبر عدنان بك نفسه وبكل أريحية المسؤول الأول والوحيد عن معاشه ومستقبله، ساعده في إكمال تحصيله المدرسي والجامعي، وأشار عليه بالتوظف، وكانت له اليد الطولى في إنجاحه في مسابقة التعيين وإيصاله بيسر إلى وظيفة مناسبة يرتقي درجاتها دون قلق وهو جالس بأمان على كرسي وراء طاولة.

خلال هذه السنوات كان قريبه الموظف العتيد في عنفوان وجاهته وقدراته، ثم في أول حكومة ثورية طالته مراسيم العزل المدني والسياسي بحكم منصبه المرموق في عدة حكومات برجوازية، وصنف في قائمة سوداء محسوباً على أوساط رجعية عجت ببقايا أمثاله، وحافظ على سمعته في أوساط باتت مغمورة من مرؤوسيه السابقين والمنسيين المحظوظين، أغلبهم من الموظفين المزمنين الذين تُركوا في مناصبهم الصغيرة والمتواضعة يُسيرون مصالح الدولة، ولولاهم لأغلقت الحكومة وزاراتها، واستجابوا لوساطاته عرفاناً بالجميل على أفضاله الجمة التي لا تنسى عندما كانوا لا شيء، ولم يبخلوا عليه عندما أصبح لا شيء بخدمات كانت تنحسر مع الزمن. في تلك السنوات القاحلة الأخيرة كان حسن لطفي شاهد عيان على قريبه البك المنكود المجرد من حقوقه يرغي ويزبد في عزلته، متأبطاً بغضب وكبرياء لقبه في عهد ألغى البكوية وتشفى

باحتقارها ملصقاً بها أبشع النعوت. عهد باتت فيه الرفاقية الثورية اللقب الوحيد المعترف به، لقب يكتسب اكتساباً بالنضال وإنكار الذات. هذا العهد تميزه عدنان بك عالماً من الفوضى والارتجال وشن عليه ضغائنه ... حزب يستعدي الجميع، شبان دونما كفاءة ولا خبرة يتسلقون السلطة ويتنفعون من مناصبهم، نضالهم أحقاد وإنكارهم للذات إنكار للآخرين، أغرار في السياسة الداخلية والخارجية. موقناً أن رعونتهم ستنهي أمرهم عما قريب. في ذلك الوقت أخذ ينتظر عودة زمن بدا على الأبواب، ودونما إمهال وسمت القوانين والمراسيم التقدمية أجهزة الدولة والجيش بتغييرات جذرية لا هوادة فيها، أتت على زمن كان على الأبواب، وجعلته يمضي إلى غير ما رجعة، ووضعت عدنان بك إزاء عالم أخذ يثبت أقدامه ويشرش، يتقدم إلى الأمام ويستشرس. تميزه، دون مواربة، يمضي إلى الأبد. ورغماً عنه، اكتسب خبرة استجدت، اقتنع بها و لم يرض عنها،و لم يضن بها على قريبه الموظف الشاب، أكد عليه الانتساب إلى الحزب ليحمي مستقبله ويختصر زمن صعوده. وبما أن الحزب كان آخذاً بالتشقق نصحه بالتريث ريثما يرسو الحزب على بر أو على شق.

من حسن الحظ كان عدنان بك في أحسن أحواله. استقبله بترحاب وأخذ بيده إلى غرفة الجلوس أجلسه إلى جواره وبدا منفرج الأسارير وهو يسأله عن أخباره بتبسط. تفاءل حسن لطفي خيراً وترسل في استعراض أحواله إلى الحال الأخير المؤلم مبدياً أسباب رفضه.

من سوء الحظ لاحظ متأخراً أنه قال شيئاً كان من الأفضل عدم التطرق إليه ربما لو تفحص أثاث الغرفة التي يعرفها جيداً لما أسهب في إبداء أسبابه دون تحرز، وهي من دون شك مطالعة القصص التي بدت خفيفة وعديمة الوزن بالمقارنة مع الكتب الثقيلة المتربعة على ثلاثة رفوف من الخشب الزان، وهي كتب قيمة سياسية ودينية ومنتخبات من سير عظماء الرجال.

نبهته التقطيبة التي تجعد بها جبين عدنان بك إلى أنه لم يعد في أحسن أحواله. بالفعل كان عدنان بك يمحص أفكاره عنه متميزاً أمراً يجهله، ليس ذلك الطيش المحبب لشاب في مقتبل العمر، وإنما تلك الهواية المتداخلة والمتعاظمة من القراءة والكتابة. قاطعه متبرماً وسأله بنفاذ صبر محدداً ما يسمعه منه بدقة.

مبتدئاً بما يقرأه "من القصص الرومانتيكية؟!"

ثم عن القصة التي نشرت "من النوع نفسه؟!"

والقصص التي سيكتبها "على الشاكلة ذاتها؟!"

وبما أن الإجابات التي سمعها كانت كلها بالإيجاب، تجلى غيظه، واصفاً المكان الذي طلب نقله إليه باحتقار واختصار.

"جحر في مكتبة"

وشيء لم يقله، وكان من المحتمل أن يقوله بعتب مروع، لقد وفرت لك وظيفة ممتازة كي أجنبك مشاق الحياة. لكن النظرة الصارمة التي أخذ يسوطه بها، فسرت ما حاول أن يكتمه أيضاً، إن ما وفره له كان أعطية لا يستحقها.

على التأكيد استعاد عدنان بك في تلك البرهة، منظر اليتيم البائس في ساحة الدار بين الطناجر والسطول وبقج الثياب والسحاحير الممتلئة بأغراض لا نفع منها، وهو يتحامل على نفسه، زرياً هضيم الوجه مسبل اليدين لا حول له ولا قوة يجيل بصره الزائغ في حطام، على عتبة الفاقة والتشرد والجوع، وأبعد قليلاً، مستقبل بات مرسوماً، أجير حلاق أو فران.

التقط حسن لطفي تلك الخاتمة التي نجا منها بفضل تدخل العناية الإلهية بشخص عدنان بك وتذكر ذلك الموقف الذي غيَّر مجرى حياته، وقارنه بالموقف الذي يجري الآن، إنه ظرف مماثل قد يغير مجرى حياته ثانية فيما لو استطاع أن يستنهض ثانية شهامة عدنان بك، هتف بصوت متهدج:

"العمل في الداخلية يجرح مشاعري ويؤرق ضميري".

وأتبعها بحملة واسعة على تجاوزات الداخلية صعدها إلى ذروتها.

"إن أخلاقي تدعوني إلى الاستقالة "

كانت صدمة لعدنان بك، تكهنها حسن لطفي، امتعاضاً ليس إلا تعاطفاً معه ضد الداخلية. في الواقع لم يحسن التكهن كان عدنان بك قد غرق في صمت واجم تتناهبه ميوعة براءة فجة وضمير غث، مستنكراً حساسية قريبه الفائقة... لو أنه تركه لشظف العيش لما كان بهذه الرقة والتبجح.

تراءى لحسن لطفي وقد ظن أنه تمكن من إقناعه، أن عدنان بك الذي بدا مهموماً قد أخذ على عاتقه وبصمت مهمة البحث عن وسيلة فعالة يساعده بها. والصمت يتعمق والبحث يتوسع،وجد نفسه يستعيد بكل امتنان وبلا مبالغة، أن عدنان بك أمَّن له مستوى لائقاً من العيش، كفاه الحاجة الى المال، بهبات نقدية شهرية، ووجبة غداء يومية في مطعم سحلول في طلعة السنجقدار، وملابس جديدة في عيدي الفطر والأضحى، وزوده بالمؤنة من الزيت والسمنة إلى الزيتون والمكدوس والجبنة. بحبوحة لم يرتع فيها، بل قتر على نفسه ليشتري الكتب، وعندما لم تسد شراهته إلى القراءة، أخذ يتردد على مكتبة المركز الثقافي يلتهم فيها كل ما كانت عيناه تقع عليه من روايات وقصص ومسرحيات. راقت هذه الهواية لعدنان بك، هواية تشغل أوقات اليتيم بخير جليس، وتقيه من شرور المراهقة والفراغ.

في هذه اللحظة، خرج عدنان بك عن صمته أكثر وجوماً، وبمفاجأة صاخبة، وحانقاً، لم تكن القراءة الرشيدة في تعريفه قتلاً للفراغ ولا خير جليس، بل — وأرعد بصوت أجش — إجهازاً على مستقبل واعد في وظيفة خاملة هي عالة على الدولة.

عدنان بك الذي باغته وقد استشاط غضباً، لم يتوقف مغلقاً في وجهه أي اعتراض. ما الذي فعله حسن لطفي؟ لم يفعل شيئاً. أصغى إليه ملخوماً. بعدها، لم يأخذ عدنان بك نفساً، طفق وبحمية يعيِّره بموظف نموذجي خيالي، هذا الموظف المذكور يتنطع لممارسة أي عمل يعهد إليه

وفي أية جهة كانت، ويثبت جدارته به.

"لا، لا يحق لك اختيار نوعية وظيفتك "

وإذا انقلب عدنان بك — كما لم يعرفه من قبل — ضده مرة أخـرى، رمى بدفاعه الأخير بحرارة وعتب واقتضاب تغني عن أي شرح.

"الداخلية ... أنت تعرف!! يذكره بمساوئ لا تحتاج إلى تذكير.

لكنها لم تنفع. عدنان بك ذكرّه أيضاً بمحاسن لا تحتاج الى تذكير.

"الداخلية، وما أدراك ما الداخلية، إنها الـوزارة الوحيـدة الحقيقيـة والفعلية بين وزارات ليس لها عمل جدي بالقياس إليها. "

وفيما ارتسم الخذلان على وجهه، سارع عدنان بك مهوناً ومتعجباً.

"كيف تتخوف من قرار كان للحظ وليس للوساطة فيه دور كبـير؟! إن الأبواب التي تفتحها لك الداخلية هي مغلقة في أية وزارة أخـرى" ثم رفع من معنوياته التي انخفضت حتى كادت أن تمحى " وسأوصي بك "

ورد عليه بصمت كاسح، كان إقراراً بامتثاله لقرار انتدابه.

إنها قصة قصيرة، هكذا رواها لصديقه اصطفاني، لكنها

"قصة لم تبلغ مرادها "

عقب أصطفاني بأن عيوبها كقصة، واضحة وكثيرة : لم يختر بعنايـة توقيت الإفصاح عن مشكلته أو يمهد لها التمهيد الكافي، لوّح بـالبواعث الأخلاقية دون أن يدعها تبلغ مداها أو تؤدي وظيفتها، والطامة الكـبرى أنه خلال الزيارة انشغل بجوانب غير ضرورية من ذكريات وتخمينات دون أن يلحظ ما طرأ من تغييرات في الموقف، وهكذا كان إخفاقـه شـاملاً نتيجة غفلته وعدم تبصره.

"كنت وفرت على نفسك قصة ضعيفة ومقداراً لا بـأس بـه مـن الحماقة، لو لأنك أدركت أن المقابلة ومنذ بدايتها كانت مهددة بالانهيار."

"لكنها لم تخل من غرابة "

"ما الغرابة في أنك خيبته وخيبك؟!"
"أليس هذا مثيراً؟!"
"المثير هو أنك ستذهب إلى الداخلية صاغراً "
لماذا لا يكتب أصطفاني قصصاً قصيرة؟!.

Abu Abdo Albagl

٣ـ الأفندي

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

في يومه الأول في الداخلية، ندب حظه العاثر. الباب الذي فتح لـــه كان باب مستودع الأرشيف، قاده إليه الرفيـــق ســـليم رئيـــس ديـــوان المحفوظات، عبر درج ضاق وتلوى، إلى قبو انحبس هواءه ونزت جدرانـــه، وخزائن كحت طلاؤها وتورمت بأضابير ودوسيهات وملفات، جللـــت بكمخ الغبار.

أومأ رئيس الديوان إلى الخزائن.

" حسن أفندي ... "

منعماً عليه بلقب سيئ السمعة، لفظه بتجلـــة، حفظـــت للألقـــاب المحظورة سمعتها التليدة، وكان لرنينه وصداه معنيان خفيان : الأول توصيـــة عدنان بك. الثاني، وبالمقابل، عليه مخاطبته بسليم أفندي وليـــس الرفيـــق سليم.

" هذه المحفوظات يلزمها تبويب وترتيب ... " غمغم مبعداً بطـــرف سبابته خيوط العنكبوت " وإتلاف معظمها، إنها من مخلفـــات العـــهود البائدة " وصحح بصوت لا يكاد يسمع " السابقة ".

بينما انحنى حسن أفندي برأسه، يصغي إلى كلمات تـــلاك وبالكـــاد تنطق، متتبعاً بصعوبة تلك النبذة عن سلفه الذي باشر مهمتـــه في مطلـــع العام الحالي على أن ينهيها قبل تقاعده، بيد أن الموت سبقه، واختلط مـــا أنجزه مع الذي لم ينجزه.

"... ووقع الاختيار عليك لإتقانك اللغة الفرنسية وإلمامك بتصنيـــف المحفوظات". تمتم الأفندي الشاب لاعناً اللغة الفرنسية، فيما ظـــن ســـليم أفندي أن تنفس الشاب قد ضاق من جراء نضوب الهواء.

"باستطاعتك إبقاء الباب مفتوحاً " وشد من عزيمة الأفندي الحديث بصوت أصبح لزجاً "إن همتك لن تطيل فترة انتدابك أكثر من شهرين" مستثمراً اللقب بالتشديد عليه "حسن أفندي، ابدأ الآن "

غير أن العمل لم يعد بالمستوى اللائق الذي أسبغه عليه بسخاء أفندي معتق بدا حاذقاً وهو ينتقل بخبث من مهمة لا مناص منها إلى أسلوب أدائها.

"لا تدع كبيرة ولا صغيرة، سيادة الوزير مصر على ألا يترك لهم أثراً في وزارته "

"لا أدع شيئاً ولا أترك أثراً!!":

"لك مطلق الصلاحية فيما تقرره بشأنها "

حيال خزائن تقوست رفوفها وتشققت وناءت بحمولاتها، كانت الخطوة الأولى، إنزال ما حشي فيها من أوراق قبل أن تتخلع مساميرها التي نتأت، وتهوي مطلقة غبارها ونافثة روائحها.

يحمل من الرفوف ما يستطيع حمله، كدسة إثر كدسة، ينقلها مكوماً إياها إلى الحائط، الأغلفة الكرتونية تنفرج عن دبابيس وشكالات صدئة وصفحات ساحت خطوطها الناصلة على بعضها بعضاً، زرقة حبرها تخز عينيه، وتضرب من حوله نطاقاً داكناً، تلتصق به، ويشتبك بها، تأخذه طيات أوراق قابلة للتلف لا للتصنيف ... وجاهزة للحرق.

والنار تندلع، تضيء بلهبها أرجاء القبو، وتلسع وجنتيه، ألسنة حمراء تتعالى، تأتي على الورق بلمح البصر، خيوط سخام تتدلى وتتألق، تتعرج وتتهادى سابحة، ورائحة دخان زكية. على أن الرجل الضالع الذي أشعل النار وأخمدها بثوان، تخلف، وتحلل السخام عن أكوام حجبت الجدار وتماسكت تحت الضوء الأصفر الباهت، كحبل راسخ، ينبغي إزاحته إلى الجدار المقابل، كلمة كلمة، سطراً سطراً، وصفحة صفحة.

طفش من قبو الداخلية إلى ساحة المرجة، إلى بيته في حي العمارة. هل مرّ في شارع فيصل أم من سوق الحميدية؟! من المناخلية أم

العصرونية؟! ألفى نفسه في باحة الديار، وكأنه قادم من مكان بعيد بعد غياب طويل. لم ير فسحة الديار الصغيرة، بهذه العذوبة من قبل، منارة بلمعات أضواء هادئة، تسكبها العريشة الخضراء، تلطع جدران تتمرغ في الصفاء. غرفة المعيشة تترنح في رطوبة منعشة، الظلال الخفيفة ترتق اهتراء طراحة الصوفا وكراسي الخيزران المنكوشة. غرفة النوم، تكبو غافية، المرآة المشعورة للخزانة القديمة تعكس على صفحتها السرير النحاسي الحائل اللون. في نهاية الدرج الصاعد، غرفة المكتبة والكتابة، صومعة الإلهام، تطل عبر نافذة صغيرة على أسطحة، هي ملاعب التهويم.

قيلولة انفضت عنه، تقلب على السرير، على الصوفا، لاب من غرفة إلى غرفة، لا كتاب روح عنه ولا مجلة. خرج من البيت، همٌّ سكن صدره، حث خطاه من زقاق إلى شارع، شمس آفلة وضوضاء راكدة. عرج على مقهى الفاروق، نراجيل تقرقر، أحجار طاولة تتخابط. مطعم لوازيس مغلق، تابع إلى مطعم سقراط، ألقى نظرة إلى داخله، رأى اصطفاني دخل وطلب فنجان قهوة. سأله أصطفاني عن عمله الجديد.

"أسوأ مما توقعت " وأعرض عنه.

شرب قهوته و لم يعتدل مزاجه، التفت إلى أصطفاني وأراد أن يبثه همه، كان أصطفاني قد غادر المطعم.

في اليوم التالي، تسلم من سليم أفندي، لوازمه من القرطاسية، ماعون ورق أبيض، مسطرة، أقلام حبر أزرق وأحمر، ممحاة وخرازة. وكان قد أعد عدته، سخانة كهربائية وأبريق شاي وركوة قهوة وعلبة دخان طلتلي سرت رفيعة.

يقرأ بعناية كل ورقة، يتتبع بأناة خطوطها المتعرجة والمستقيمة، يفكك كلماتها المطموسة والملزوزة، يركّب عليها نقاطاً سقطت سهواً، أو يُسقط عنها شطحات أثقلتها عفواً، يسجل على قوائم مسطرة إلى حقول : مضمونها، تاريخ صدورها وورودها، الجهة المرسلة منها وإليها.

أما حقل الملاحظات الذي سيكتب فيه قراره بشأنها فقد تركه خالياً ريثما يسترشد بآراء سليم أفندي.

بعد أيام من عمل اقتصر على التبويب وافتقر إلى التنويع، أصبح أشد شوقاً إلى عمل ينبو على التصنيف ولا تحدده التعليمات. هفت نفسه إلى صومعة الإلهام. صعد الدرج متوفز العزيمة، أخرج مسوداته، أمسك القلم، وأرسل بصره عبر النافذة.

على الأسطحة، كانت قد نشرت على الحبال. كم أنا متأرجح بالأفكار؟! قصص تتزاحم، وافتتاحيات تتزعزع. كم أنا مضطرب؟! رقع ترامى، رقع تضمحل، شخصيات تتجمهر وتتراشق بحوارات مجتزأة ومطموسة. امنحوني كلمة، العنوان، المطلع. رجال ونساء ينتظمون على أنساق، أحداث تتلاطم وتتخفى على أحداث، نوايا تتوارى، ومرامي تصطرع في خلوة أو خلاء، لا تجد معبراً ولا منفذاً، تتعسر بدايات تومىء إلى لانهايات، ملامحهم تمصره ولواعجهم تصهره. يغص بإنفعالات، لن يتجسدوا إلا بكتابتهم. حائر أم عاجز؟!

تتراخى أصابعه، يسقط القلم من يده، يخلي سبيلهم من قوائم مسطرة ومصائر مسطورة، وتصنيف ابدي لن تقوم لهم قائمة من بعده.

٤ . الورق

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

في يوم الخميس، ختام الأسبوع الأول، ظهر سليم أفنـــدي يجـــر وراءه أربعة حجاب يحملون على أكتافهم أكياس خيش كبيرة ومنتفخـــة، تحتـــوي على دوسيهات أفرزتها إدارات مختلفة بعد جرد دقيق وشامل، ما زال مســـتمراً في إدارات أخرى.

أجال سليم أفندي بصره في أرجاء القبو متفقداً سير العمل. ما الذي أنجـز فعلاً؟! نقصت جبال الورق مصنفاً واحداً نقل إلى الجـــدار المقـــابل. تنـــاول المصنف باستنكار، وفوجىء بالأوراق المخروزة إلى غلافه، تصفحها، كـــانت خلاصة بمفردات محتوياته. التفت إلى الشاب الذي كان بعمـــر أولاده مثنيـــاً عليه.

"عمل متقن " ثم زجره " مصنف واحد؟! "

"إنه أقل من المطلوب " اعترف الأفندي الشاب.

ولأنه أقل من المطلوب بكثير، أجرى سليم أفندي عملية حسابية قـــدر فيها الزمن اللازم لاتمام العمل على هذه الوتيرة.

" خمس سنوات على الأقل "

وأشار إلى الأكياس المنتفخة وزادها خمس سنوات.

"وما زال هناك المزيد "

لم يخف إعجابه بهذا الجهد الشاق والدقيق لكن الضائع، والحصيلـــة ... نتاج مروع بضآلته، وليس هذا فحسب، بل إضافة ملاحق ليست إلا ملفـــات صغيرة مضمومة إلى ملفات كبيرة، ستصبح دليلاً على مستندات لا نســـتطيع الاستغناء عنها، ولن يعود بوسعنا إتلاف ما بات قوائم لأوراق ينبغي أرشـــفتها مجدداً، لن نرجع إليها في جميع الأحـــوال. لـــمَ ... والمطلـــوب هـــو، لا

مستندات ولا أشباه مستندات، وبالتالي، لا دليل لها ولا عليها، مجرد كلمة واحدة من اثنتين : للحفظ أو للإتلاف.

سحب مصنفاً لا على التعيين وقرأ مُقلباً أوراقه.

"جرد بالموجودات من مكاتب ومقاعد وستائر وأقفال ... إلخ عائدة للضبطية عام ١٩٢٦. ما الذي جرى لهذه المنقولات؟! لقد أصبحت خردة لا أثر لها. تعهد توريد عام ١٩٣١، المتعهد مات، وما ورده استهلك، من يهمه كيف استُهلك وعلى أي وجه؟! مراسلات مع المفوضية الفرنسية. أين المفوضية وأين رجالها؟! المفوضية رحلت ومات رجالها في الحرب، ومن بقي منهم على قيد الحياة، نسي ما تسلمه وما أرسله. وهذه، إلى من يهمه الأمر ... من يهمه الأمر الآن؟! أو ما هو؟! ثم نجلب انتباهكم!! إلى أي شيء يا ترى؟! ومن يجلب انتباه من، بعد هذه السنوات؟! كل هذا عفى عليه التقادم. "

بين الآن وذلك الماضي السحيق، كانت المحفوظات أدنى إلى الإتلاف منها إلى الحفظ. ضرب سليم أفندي بيده على أكياس الخيش وضمها إلى ما سبقها.

"إذا كانوا قد تخلصوا منها بإرسالها إلينا فهل نتمسك بها؟!". رفع يديه ولوح بهما عالياً " عدا أنه خلال خمس سنوات، يذهب وزراء ويأتي وزراء، ومع كل وزير جديد منتدب جديد، ربما سار على منهاجك، وهكذا يتضاعف الأرشيف مرات، ونحتاج إلى قبو ثان وثالث "

دون أن يغفل وهو ينهي جملة باستغراب ويبدأها بتعجب، أن يلفظ اسم موظفه الشاب بطريقة صفراء، صارفاً بأسنانه على اللقب الذي أسداه إليه، مقتطعاً منه حرفاً أو حرفين مهدداً بحرمانه منه.

غير أن اللقب الذي بات عرضة للمساومة والتنكيل وربما للشطب، لم يعد مغرياً لصاحبه ولا حتى متلهفاً عليه، وبالتالي، لم يؤت هذا التلاعب اللفظي بلقب تقلده بسرية تامة و لم يتداول إلا بين أربعة جدران ثماره من الغمز ولا من التشويه. أما الذي أتى ثماره فعلاً فهي الأمثلة التي ضربها سليم

أفندي مصححاً بها مسار أسلوب العمل الذي اتخذ منحى ناجعاً تماماً.

أصبح يمر على الأوراق ببصره، بعد سطر أو سطرين يلـــم بفحواهـــا، ويرميها فوق مثيلاتها، لتهوي فوق تعليمات ولوائـــح وأوامـــر تشـــابهت، في عملية أصبحت نموذجية، مضمونها لا يختلف عما سبقها، قوائـــم دوريـــات، ونوبات حراسة، تعليمات صيانة أسلحة وعتاد، مخالفات مســـلكية، محـــاضر استنطاق واستلام وتسليم ذخيرة وأجهزة ولوازم نـــوم، مذكـــرات جلـــب وإحضار، مراسلات مع المحافظات والقائمقاميات والقـــرى، قوائـــم إطعـــام المناوبين والمساجين والموقوفين، حملات تنظيف وتفتيش وحجر صحي ...

موطداً أمره على المزيد من الســـرعة، مغفـــلاً النظـــر إلى ترويســـات ومقدمات، لا تعدو إلا أنها موجهة إلى سعادة أو جناب أو حضرة المعلومـــين أو المواطنين المجهولين، مردفة بـــ يرجى الإيعاز أو التعطف أو نرتئي، أو يجـــب ويجب، إلى التعميم على ... كافة، تحت طائلة العقوبـــة أو المســـؤولية، أو يـــبـــلَغ من يلزم لتنفيذه صادرة عن ... إلى تقبلوا بكل احترام، أو تقبلـــوا فائق أو عميق ... مذيلة بتوقيع رئيس إدارة، أو قائم بالأعمال أو بالنيابـــة، أو سيادته بالذات.

مقتصراً على جملة في متنها، مستشفاً مضمونها ... تأكيداً على أو عطفـــاً على كتابنا رقم ... تاريخ ... يسري ابتداء من ... ومزيداً من التعليمـــات المفصلة في بنود، ومزيداً من الأوامر الكبرى المتفرعـــة إلى أوامـــر صغـــرى ومتناهية في الصغر، من تلك الأوامر والإخطارات الـــتي لا تنفـــد ولا تنفـــذ بنصها ولا بروحها، والداخلية تستمرئ بدأب ودون كلل ولا ملل، تكـــرر على هذا النحو أو ذاك، بحرص ووضوح، دون أن تجـــد آذانـــاً صاغيـــة أو واعية، وهي إنما تتعيش على خرق الأنظمة والقوانين والجهل بهـــا، لا علـــى التقيد أو العلم بها.

وغالباً ما استلفت نظره تظلمات يرفعها العبد الفقير أو خادمكم المطيـــع أو الداعي لكم بطول العمر...يرجو، وما أكثر ما يرجـــو...رفـــع الجـــور والبين... ويطلب، وما أكثر ما يطلب ... الشفقة و الرحمة أو النظر بعـــين

الرأفة، يسأل إلغاء عقوبة أو غرامة أو تخفيضهما نظراً لسوء الحال أو ...

خالهة همس ضمير يؤنبه على مهمة تنجز لا كما ينبغي، بل كما طلب منه بالتمام وليس بالكمال. لكن كل هذا ولى زمانه وانطوى رجاله ... من رؤساء الجمهوريات والمنتدبين الفرنسيين، إلى الأجودانات والدرك، يتخللهم كولونيلات وضباط ومدراء ووزراء ورؤساء إدارات ومصالح ومخاتير، والبشر بقضهم وقضيضهم، كما هذه الأوراق بقضها وقضيضها، مخلفات لم يكلف الفرنسيون أنفسهم عناء رزم وحمل ونقل ما يخصهم منها، بل تركوها للسلطة الرجعية الوطنية، التي بدورها تركتها للسلطة الرجعية الأكثر وطنية، ثم للسلطة التقدمية الثورية، وبعدها للسلطة التقدمية الأكثر ثورية، وكل منهم يضيف مخلفات إلى المخلفات، تاركاً لغيره مشقة التخلص منها.

ومراراً، ما التقى بسلفه على الورق، تاركاً – هو أيضاً – أثره، تأشيرته المميزة x بالأحمر، مرسلاً الإضبارة تلو الإضبارة إلى التهلكة، لقاءات لم تسعده، مع أنها كانت تعضده في ما هو ماض فيه. لم تكن بعد إمعان، إلا رسالة نعي مفتوحة، إلى أن المرحوم غدرت به أوراق غدر بها، ردت عليه التأشيرة بأختها وأرسلته إلى التهلكة.

يرتجف القلم بين أصابعه. يتراءى سنه الرفيع والمبوز، مسلطاً عليه لا عليها، وكأنه لن يهمله أو يمهله، وقريباً سيغوص في صدره، وينغرز في قلبه، ويقضي غير مأسوف عليه، قبل أن ينهي انتدابه، مقتفياً خطى سلفه من قبو إلى قبر.

لكن الباب مفتوح على مصراعه متنفساً، ومتنفساً عبره الهواء والأصوات، كان بصيص اتصال. وراءه، تقبع أدراج ودهاليز، تفضي إلى مكاتب وموظفين ومراجعين وضجيج.

٥ ـ ها هــو ...

هاهي ...

Abu Abdo Albagl

"ياللروعة!!" هتف متعجباً.

على حين غرة، تكشف له وهو جالس مع أصطفاني في مقهى الفاروق، أن الداخلية شفته من حالته، وعلى الأخص ذلك الورق، الورق الذي لم يحفل به، كان علاجاً رغم كل شيء.

" هل كتبت قصة؟ " تساءل أصطفاني.

" الكتابة باتت جحيماً لا يطاق "

" إذاً أين هي الروعة؟! "

" لم أر الرجل الضالع منذ التحقت بالداخلية "

لم يعبأ اصطفاني بشفائه، بالعكس وجده معلولاً، وإلا لم جفت قريحته؟!

"لا تتوقف عن الكتابة "

"في الوقت الحاضر لن أحاول" و لم يقل أنه يتهرب من الكتابة.

رافقته الفكرة من المقهى إلى غرفة النوم. لم يكن يتهرب من الكتابة، بل من مواجهة ما آل إليه. أليست هذه قصة، لم لا يكتبها؟! ربض في الفراش يعاندها، كاد وهي تدفعه للصعود إلى غرفة الإلهام أن يسلس قياده لها. لا، لن يعاود الكرة والخيبة، بتحريض فكرة خرقاء في صومعة، تحبسه وتحبسها، لا تطلقه ولا تطلقها، ولن تكون النافذة سوى ثقب أسود، يسق صورته الخائرة وأشباح زاعقة.

في القبو، أصبح العمل أكثر غزارة، ومثيراً للقرف من ورق باخ بياضه وخشن خفيفه، ومملاً حيال سيل عقيم لا ينتهي رغم تناقصه، وأدعى للعجلة واليأس من نبع لا ينضب، يصب إلى الجدار المقابل، ويوثقه من الطرفين. يتفلت ذارعاً ممرات الورق الضيقة فوق الأوامر الشديدة اللهجة،

والبالغة الأهمية والعديمة الأهمية، يدوس عليها بلا اكتراث، تسقمه ويشفي حقده منها، بدمغها الورقة تلو الورقة بالاتلاف. تغمره مشاعر ضعف توبخه. لم؟! يجيب: أليست كلها على هذا النمط أو ذاك؟! وتبلبله. هل الإجهاز عليه يؤلمه؟! لا، إنما يسهم في نزع أقدار تناهت في تفاهتها. يصم أذنيه عن هفهفتها، وتشقيه، مصيره لن يكون أفضل من مصيرها، وكما يطوِّح بها سيطوَّح به، مآله ورق إلى العدم.

لم يغمطه سليم أفندي، خلال جولاته المتفرقة، حقه من التقدير، أكوام الأوراق المنجزة رجحت على الأكوام المقابلة. لم يناسمه الخيلاء، بات العمل برمته ممضاً، ومع هذا ثابر، سرعته تزداد طرداً وحماسه يكبر تلقائياً، فترات الاستراحة تتضاءل، يشعل سيكارة لا يكملها، يصب فنجان قهوة لا يشربه. وكأن هناك من يستحثه أو يهيب به ألا يتلكأ، أو ينتظره، لكن أين؟!

ودون وضوح، أدرك أن العمل أخذ يتمحور حول أمر غير مفهوم وعاجل، لا يحتمل تقاعساً، وهو لم يعد مندفعاً في ظلام أو على عماء، بل في طريق محدد ومرسوم، متوقعاً شيئاً سوف يظهر، وفي الوقت نفسه يبحث عنه ويجهل ما هو وسيميط اللثام عنه، هدف يلوح أو لقية، لم يكونا مرتبطين بانتهاء عمله، يراوده تارة بقوة وتارة بفضول، يتتبعه من مصنف إلى مضنف وكأنه لن يلبث أن يبرز من الورق.

هاهو، والعمل في ذروته يتلمس بغموض عملاً شارف على البدء. يعد إضبارة، يتناول أخرى، يفتحها، يقلب أوراقها، تطالعه استمارة ملصق إلى طرفها الأيسر صورة امرأة!!

يسمع حركة، يرفع رأسه، سليم أفندي يتسلل من باب القبو. ينتفض مغلقاً الإضبارة. سليم أفندي يتقدم نحوه مباشرة دون أن يشمل أكداس الورق بنظراته.

"حسن أفندي، لقد صدر أمر بإيقاف عملك في الأرشيف "

أراد أن يستوثق قبل أن يفرح.

"أوقفت عن العمل. هل هذا ما قلته أم ...؟! "

"عملك هو الذي توقف "
"اليوم؟ " مسيطراً على صوته كي لا يشي بسروره.
"اليوم عند نهاية الدوام الرسمي "
" أخيراً أدركوا أنني لا أصلح لهذا العمل "
"لقد أسندوا إليك عملاً آخر "
" لم أفهم "
تجلد متبلد الذهن متجشماً عناء بالغاً وهو يستأنف السمع ساخطاً وبانضباط.

"ما أعرفه أنهم بدؤوا بتشكيل هيئة أو لجنة، سمها ما شئت، إنهم لم يتفقوا على تسمية لها بعد، وهي عبارة عن مجموعة من الموظفين الشبان حملة الشهادات العالية، لإعادة فحص بعض القضايا، ورشحت واحداً من المجموعة " وشد على يده مهنئا.

يده تهتز، جسده يهتز، شيء ما ينخلع، سليم أفندي يتفكك، ومشهد يتدحرج متسارعاً، مشهد أهوج لن يعوقه عائق، ولن يقاومه. رأسه يفتل. الجدران إذ تتطاول، تنبعج. والأوراق إذ تتماوج، تنفلع. بصره يدور منقباً عن إمارات أخرى أشد تأثيراً من أشياء تنفلق على طريقتها، محدثة صدوعاً يسيرة في موقف يتطلب انهياراً شاملاً.

اتكأ بيده على حافة الطاولة، وباليد الأخرى، تمسَّك بساق بنطاله، قبض على جسم صلب في جيبه، أخرجه، مفتاح القبو، دفع به إلى سليم أفندي الذي أعاده إليه.

"أبقه معك، ربما عدت إلى الأرشيف بعد انتهاء مهمتك "

أعاد المفتاح إلى جيبه. كانت تلك الحركات الصغيرة قد شغلته عن حالة تضعضعت وانفرطت دفعة واحدة.

"ألم يجدوا شخصاً غيري؟ " مسترجعاً سياق الحديث.

"لقد اختارك مدير إدارة القضايا الخاصة بعد أن اطلع على ملفك "

تسنى له، ومدير إدارة القضايا الخاصة، قد اختاره شخصياً أن يعيد النظر بنفسه وقدراته من خلال ملف يجهله ويحمل اسمه، لم يكن رغم أنه

مدد فترة انتدابه وميّعها، إلا تنويهاً بكفاءته.

"وريثما تُستكمل التشكيلات منحك إجازة أسبوع مكافأة على نشاطك "

"أعتقد ... أنه ... لولاك ... لما ... " كان يتابع شيئاً في ذهنه.

"لا تشكرني " قاطعه سليم أفندي.

"يجب أن أشكرك " ما كان يتابعه أضاعه. ارتد إلى سليم أفندي لماذا يجب أن يشكره؟!

"على الأغلب لن تعود إلى الأرشيف " فرك يديه بتواضع " لن تنساني أليس كذلك؟ "

"لا، لن أنساك "

كان سليم أفندي قد قدم دليلاً جلياً وإن كان غامضاً على أن العمل الجديد يفوق نفوذه منصب رئيس الديوان الذي خطب وده وتزلف إليه قبل أن يبارح القبو.

نسمة هواء لا وجود لها، تبرد عرقه، قلبه يخفق بشدة. بشرى مبشرة بحق، كان أول من رشح وأول من كوفئ. فرحه يتعاظم ويبهظه، قدماه ترتجفان، تختلجان، وتتقصفان.

قرفص خلف الطاولة، أقعى بركبته على الأرض. أهذا ما كان ينتظره؟! لم يظهر من الورق، وإنما من باب القبو. يرفع يده يبغي الوقوف، يتلمس حافة الطاولة، يتحسس ساهما الإضبارة. الإضبارة تنسحب وتسقط إلى جواره على الأرض، ماذا كان داخلها؟! هناك شيء استوقفه فيها، يفتحها أوراق تتالى وتشرخ السكون، أصداؤها نقرات. يتذكر، صورة امرأة ملصقة إلى استمارة.

هاهي، صورتها تبرز، امرأة ملامحها ليست غريبة ... وصوت نسائي ناعم

"هل من أحد هنا؟ "

يصدر من الصورة التي يتأملها، من هاتين الشفتين الممتلئتين، الابتسامة والغمازتين، عيناها تتأملانه. السؤال يتكرر ثانية، يرهف السمع، الصوت

يحلق، ويتمدد مكتنفاً الفراغ، ثم يجثم فوقه، ويتهادى رنينه متأرجحاً في العالي.

هاهو، ينتصب بجذعه، يرفع رأسه، يراها وراء الطاولة، ترتد على أعقابها متفاجئة، رأسه يطفو على سطح الطاولة وهي تحاول أن تكبت دهشتها. اختطف نظرة إلى الصورة وإلى المرأة التي تغلبت على دهشتها، مقارناً بينهما، إحداهما مرآة للأخرى، أيهما تعكس الأخرى؟! تتعاكسان تارة بالألوان وتارة بالأسود والأبيض. أيهما ليست هي؟! لكن والصورة حافظت على ملمسها والمرأة على وقفتها، أخذتا تتطابقان.

هاهي، تقترن بالشفتين الممتلئتين والغمازتين والعينين الشهلاوين، على أن النظرة حانقة، وهي صورتها بالذات، ونقر الورق لم يكن سوى نقرات كعب كندرتها.

هاهو، ينهض مأخوذاً من لوثة الورق ومسّ مصادفة، امرأة الصورة، لا محالة، رآها صورة من قبل مراراً. والمرأة التي تواجهه، يراها الآن لأول مرة، مفبركة من لحم ودم.

هاهي، تقول شيئاً وباستنكار عن استمارة تخصها، أرسلت خطأ إلى الأرشيف، وهي طلب لجواز سفر أنهت معظم إجراءاته وبقيت الموافقة عليه، كانت قد قدمته منذ شهرين إلى شعبة الجوازات ونسيت المراجعة بشأنه.

اشتد ذهوله. تتكلم!! من تكون؟! ملامح غاضبة، وعطر مدوخ، تسخر من شعبة الجوازات والداخلية ومنه أيضاً.

"هنا رجال يضيعون فكيف بمعاملة صغيرة؟ "مومئة إلى أنه كان إلى ما قبل لحظات ضائعاً تحت الطاولة.

"كنت أبحث عن ورقة سقطت مني "

"هل وجدتها؟"

"لا"

"كيف، إذاً، ستجد استمارتي؟!"

خطر له، حيال عجرفتها والإضبارة تقبع تحت قدميه، أن يدور في مكانه دورة، ينحني خلالها، ملتقطاً الاستمارة، وبخفة يد، يبدو وكأنه يخرجها من

كمه، كمعجزة صغيرة وقاطعة على أن لا شيء يضيع في الأرشيف، كاد لولا ...

هاهو يتذكر، وفي الوقت المناسب، أنه رأى صورتها في الصفحات الأدبية. ويتذكر لقبها واسمها: الكاتبة القصصية جيهان سلاّم.

والآن، لن يتذكر، بل سيتساءل، ما الذي سيدور بينهما إثر خفة يده وظله؟ السيدة المراجعة ستنفح موظف الأرشيف كلمتي شكر لا ترويان الغليل، فيما هناك قصة تروي الغليل، قصة طويلة ستنسج خيوطها، ليس من السيدة المراجعة وموظف الأرشيف، بل من القصاصة المعروفة والقصاص المغمور.

حالياً، على الموظف تهدئة غضب المراجعة، ريثما يثبت المؤلف الناشيء للكاتبة المرموقة، أنهما من طينة واحدة.

"اطمئني سأبحث عنها"

رمقت تضاريس الورق وأشفقت عليه.

"سأتقدم بمعاملة جديدة"

"سأجدها خلال أسبوع " قال بثقة.

" أسبوع؟ "

" بل أقل ".

" أقصد أسبوعاً واحداً لا يكفي" ورمقت من جديد تضاريس الورق.

" لقد وعدتك " قال باعتداد.

هاهي، ترفع يدها، تنفخ على أصابعها، الغبار يتطاير، ترمق الغبار، ترشقه بابتسامة هازئة وتخرج. نقرات كعبيها تنثال من الدرج إلى رأسه.

هاهو، يتناول الإضبارة، يسحب الاستمارة منها، يطويها، يضعها في جيبه. لم ينتابه الشك، هذا ما كان ينتظره، جاء من الورق ومن باب القبو في آن واحد. كانت هنا، وصوتها ما زال ... وغبار، غبار.

انحنى على الطاولة، على سطحها وضعت يدها، هنا لا مست أصابعها الخشب المصقول، على الخشب بصمات أصابعها، رُسمت تعرجاتها الدقيقة بالغبار.

٦ـ قصصها

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

خطط في مستهل إجازته على إعداد نفسه إعداداً أدبياً جيداً للقاء جيهان سلاّم، وذلك بالتعرف عليها عن قرب ومن وراء ظهرها، ككاتبة قصصية من خلال قصصها المنشورة في المجلات الأسبوعية والتي اطلع عليها منذ فترة طويلة وكوّن في ذلك الوقت فكرة عنها، قصص عاطفية تحفل بالمحسنات البديعية الجاهزة، تنساب أحداثها ببطء شديد تقطعه وقفات وجدانية متعمدة ومطولة. وكي لا تشوش هذه العيوب قراءته من جديد، غض النظر عنها مركزاً على أبطالها، ذلك الثنائي المتعارف عليه.

أدهشه، أن المرأة دائماً هي نفسها والرجل دائماً هو نفسه، مهما كانت العلاقة التي تربط بينهما زواج أو إعجاب متبادل أو حب غير متبادل. المرأة مشبوبة العاطفة صادقة في مشاعرها. أما الرجل فرغم خصاله — وهي خصال مؤقتة — أناني ومغتر برجولته. تجاذب محسوب وفاتر، رتابة مملة، تعقبها واقعة الفراق. المرأة — في جميع الأحوال — تهجر الرجل بكل كبرياء، ضاربة عرض الحائط بوعود الحب والثراء، دون أن تنفع الرجل توسلاته. اتصال وانفصال يدوران متناغمين مع إطلالات الربيع والخريف، هناك ما يغرب مع الغروب الدامي وتساقط الأوراق اليابسة، وما يشرق مع الشروق المتلألئ وتباشير الصباح. في تلك اللحظات الشاعرية الشفافة، تفضح وردة ذابلة تذروها الرياح زيف الحب، فيما زخات المطر تغسل روحها من أدرانها، ودموعها الباردة تغسل عواطفها الحارة ... وعسلوج أخضر يبعث في حناياها الحياة والأمل.

هل كانت جيهان سلاّم تستقي قصصها من حياتها؟

أطنب في شرح فكرته لسمير أصطفاني ورسم صورة للقصاصة جيهان.

" امرأة حاملة صنفت الرجال كلهم في خانة واحدة، وعاشت قصص حبها، هجراناً متواصلاً وعلى وتيرة واحدة"

صورة لم تصمد. فاجأه سمير أصطفاني بما يعرفه عنها : جيهان أحبت زميلاً لها في الجامعة مستجيبة لنداء أطلقته مع غيرها من الأدبيات والشاعرات الشابات في أيام كانت أيام براءة الحب والأدب والتمرد على التقاليد، وظهرا معاً في الشوارع والحدائق وطلعة الجامعة، متشابكي الأيدي، كتقليعة غرامية حديثة جداً لها نكهة الأفلام الفرنسية الناعمة. أرواهما الضيقة والقصيرة تكشف تقاطيع جسدها، وكانت معروفة بصيحات الدهشة والتعجب التي تطلقها على كل شيء ولا شيء، وكأنها ترى الأشياء دائماً ولأول مرة.

أتذكرها تدخل كافيتيريا الجامعة، تتأود بخطواتها، تخطر كأنها ترقص السامبا، تتلفت برشاقة، خصلة من شعرها تتهدل على صفحة خدها، تدير الرؤوس وتخرج كما دخلت كنفحة عطر. لم تكن تقلد كانت فعلاً أشبه بقصيدة لنزار قباني.

تزوجا بعد تخرجهما من الجامعة وطلقها بعد اقل من سنة، لم يستطع احتمال امرأة متعبة وغيورة غير قادرة على الحب ومتسلطة. وهي أيضاً لم تستطع احتماله، كما قالت، وحاولت تفسيره في قصصها، كل هذا الغرام، هو أنها توهمت حباً وتوهمت رجلاً، لكن وكأنها إنما كانت ترغب في تجربة العواطف المأساوية العنيفة والمدمرة، وكانت مأساة طلاقها أنها دمرتها وشفتها من العواطف القوية والخفيفة. جيهان تخشى الرجال وتكرههم، وليس العاشق الذي يتذلل لها في قصصها، إلا أنها هجرته على صفحاتها فحسب، وحتى أولئك المعجبين الذين توددوا إليها سرعان ما نفروا من المرأة الجميلة والعليلة الحذرة من الغرام والرجال.

" إذا كنت تظن أن قصصها عن حياتها فهي جملة أكاذيب "

لم يشرك خياله، وإلا أضاف إلى ما سمعه تعليلات حسية طائشة، تصرفه عن تحليل حساسٍ ووعر.

استعاد زمنها مكتفياً بتلك المفارقة الصارخة. جيهان، كانت بطلة لقصة حب يتيمة، استغلتها في قصص أسقطت منها إخفاقها، واستلهمت من

خيبتها أساليب صدودها والبرء من جراحها عبر رجال وصفتهم كما يحلو لها، كانوا بركاكتهم وتفاهتهم، لقمة سائغة لشراهتها للانتقام، حب تشوهه وتقلبه على أوجهه من قصة إلى قصة، بلغة متحذلقة وناصعة، تقتص بها من الرجال والحب، لغة مباشرة لا تحتمل تأويلاً ولا تورية، دون أن تمس الغرام في صميمه أو في حقيقته، مشيدة ــ رغم ذلك ــ صرحاً من العواطف والعواصف، تعيد كتابته المرة تلو المرة، وكأن هناك جانباً لم تطرقه بعد، وتثأر لنفسها عبر تلك الحيلة ذاتها، الطنانة ذاتها.

مضت ثلاثة أيام من الإجازة، موعده معها حل أو قارب، قد تأتي اليوم أو غداً إلى القبو، وليس باستطاعته موافاتها هناك. فكر في مصادفة، وضع في المحفظة الاستمارة وعدة مسودات لقصص من تأليفه، حملها وجاب الشوارع عسى أن يلمحها في مكان ما، مرّ أكثر من مرة على مقربة من بيتها في ساحة الشهبندر، لكن دون أمل. في اليوم التالي عاود الكرة وجاب الشوارع ثانية، وكانت ساحة الشهبندر خاتمة المطاف، وقف أمام بنايتها وعزم على البقاء حتى تدخل أو تخرج منها. والليل يأتي، ركب رأسه، لن ينتظر، صعد إلى الطابق الثالث وقرع الجرس.

ظهرت وفقد جرأته. كانت تلبس بلوزة بيضاء وقد كشطت شعرها إلى الخلف نظرت إليه وسألته سؤالاً لم يتبينه.

" لم أجد بداً من القدوم " رد متلعثماً.

رفعت حاجبيها وقالت شيئاً بعجلة، ظنته جابي فواتير الكهرباء.

"أنا موظف الأرشيف " قال.

"الأرشيف " وكأنها لم تسمع بالأرشيف قط.

فتح المحفظة أخرج الاستمارة وناولها إياها.

"عثرت على الاستمارة " قال مرتبكاً.

"الاستمارة!! أنت الذي رأيتك في ... "

"في القبو "

وتذكرت الموظف الذي كان أكثر سمرة، ربما من الجو المخنوق في القبو.

وشرخٌ على جبينه، ربما من الغبار. يشبه أمثاله من الموظفين، وهو الآن لا يشبههم، حنطي اللون، معتدل القوام، مصفَف الشعر، خجول، ولطيف بعض الشيء.

"اضطررت للمجيء " قال معتذراً " لأنني نقلت من وظيفتي "

"من دلك على عنواني؟ "

"إنه مسجل في الاستمارة " ثم تجرأ " أنا أعرفك "

"تعرف عنواني " عقبت.

"أعرفك" أصرّ.

"تعرفني؟!"

"لقد قرأت لك" وتلعثم ثانية "أنا أيضاً أكتب القصص"

أخرج صفحة المجلة من المحفظة.

"نشرت واحدة" قدمها لها " هذه هي، إنها من تأليفي، وهذا اسمي"

ألقت نظرة عليها ثم نظرت إليه.

"أنت حسن لطفي"

هز رأسه ودفع إليها برزمة أوراق.

"وهذه قصص أخرى في طريقها إلى النشر "

أمسكتها قبل أن تسقط من يده إلى الأرض، تراجع إلى الخلف ونزل درجتين.

"ليتك تقرأينها "

"أنا لست ... "

"أتمنى أن أعرف رأيك فيها " قاطعها.

تطاول على أصابع قدميه ينتظر جواباً منها. وجهه قد انصبغ محمراً، ويكاد أن يقع.

"تعال يوم السبت القادم عصراً " قالت.

ونزل الدرج طيراناً.

٧ ـ الرفيق المنسق

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

طلب سليم أفندي منه وبجفاء، أن يسير وراءه عن بعد، بحيث لا يظهر أنهما يمشيان معاً. وبصعوبة تأثر خطاه على درج صاعد، ثم وكما الدهليز يتعرج، تعقبه بأسلوب متعرج وسخيف، ومنه إلى درج ودهليز، ودهاليز، وأبواب تبرز على الجوانب، كأنه خرج من الداخلية وولج داخلية أخرى توارت فيها. توقف سليم أفندي أمام باب كان من أكثر الأبواب التي مرا بها رثاثة وقبحاً، قد يقبع خلفه مرحاض أو مستودع مهملات.

" الرفيق نعمان بانتظارك " قالها سليم أفندي بلهجة متوترة، وبدا بعبوسه متعمداً نسيان تزلفه إليه في القبو قبل أسبوع.

" ومن يكون الرفيق نعمان هذا؟ " سأله بهزأ، حاذياً حذوه، متعمداً نسيان انه وعده بشيء.

"رئيسك المباشر " وانسل سليم أفندي على أعقابه.

كانت قاعة واسعة وإلى حد ما فارغة، سقفها عال، شبابيكها طولانية مقوسة الأطراف، إلى اليسار جاهته منضدة يجلس وراءها رجل، كان بلا ريب الرفيق نعمان.

" أهلاً رفيق حسن " خاطبه الرفيق نعمان بصوت خفيض، وقبل أن يصل إليه، ودون أن يرفع رأسه اليه عن أوراقه بعد أن منحه لقباً خطيراً دونما مقابل كأمر مفروغ منه، وكالتباس غير مفروغ منه.

جلس على أقرب كرسي، واستغل انغماس الرفيق نعمان في الاطلاع على البريد اليومي والتوقيع عليه، تأمله، كان ممتلئ الوجه مع صلعة

خفيفة، يرتدي بدلة سفاري زيتية اللون، وشعر أسود كثيف يغطي يديه. أما القاعة فلاحظ أنها لا تحتوي على خزائن أو صور أو شعارات، وبلا ستائر أيضاً، وغير معدة لعقد اجتماعات أو استقبال زوار، فقط منضدة ضخمة وفخمة وكراسي مبعثرة مختلفة الأنواع والأحجام، وكأنها استعيرت من الغرف المجاورة.

انفتح الباب، دخل رجل قصير وسمين يحمل كرسياً، وضعه إلى جوار الباب وجلس عليه. كان الحاجب، وكأنه هو أيضاً استعير مع كرسيه من غرفة مجاورة.

لم يأت أحد. خمن أنه بكر بالمجيء أو أن الهيئة أو اللجنة أو المجموعة لم يكتمل تشكيلها بعد.

" لقد فرغت لك" قال الرفيق نعمان وهو يرفع رأسه، ينظر إليه، ثم يستدير صوب الحاجب ويشير له بالقدوم " دع الرفيق حسن يراك جيداً "

نهض الحاجب وتوجه من فوره إلى الرفيق حسن، وربض بوجهه قبالته تماماً، حتى كاد أنفاهما أن يتلاصقا.

"رفيق حسن، تأمله، اطبع ملامحه في ذهنك "

وانفغر فم الحاجب عن ابتسامة بلهاء، كشفت صفين من الأسنان الصفراء النخرة، يعلوهما شاربان رفيعان وأنف مفلطح وعينان صغيرتان وخبيثتان وشعر مزيت دبق على جبينه.

ترسخت ملامح الحاجب في عينيه مع شيء ما كريه يفوح منه، وينسحب معه، وهو يعود متثاقلاً في مشيته بحيثية كانت غلاظة مفرطة.

"لقد انتقيته هكذا كي تتذكره بلمحة واحدة "

"إنه لا ينسى "

"سيكون مراسلاً بيننا "

كان أيضاً في صوت الرفيق نعمان شيء غليظ، لم يعن به، كان قد

ساءه أن يكون التمرين المقزز للذاكرة فردياً وقبل حضور الآخرين، ولكن وكما يبدو كأنه ليس هناك آخرون.

"ألا تضم المجموعة أحداً غيري؟ "

"هذا المراسل يختص بك لماذا تسأل؟ "

"إذا كانت المجموعة من اثنين، أي أنا وأنت، فما الحاجة إلى مراسل بيننا؟ "

" الحاجة ماسة "

اتكأ الرفيق نعمان بساعده إلى مسند الكرسي، وحدق فيه ملياً " المجموعة تضم أعضاء غيرك " تناول من الدرج علبة معدنية، أخرج منه سيكاراً، خلصه من غلافه الجلاتيني " سيعهد إلى كل منكم بمهمة أو بجزء من مهمة " قبض على السيكار بإصبعين مشدودين " وتمارسون عملكم خارج الوزارة " سدده نحوه، وبصوت خفيض " لن يعلم بك أحد سواي، سأرسل إليك بتعليماتي كما ستزودني بتقاريرك بواسطة هذا " مصوباً السيكار نحو الحاجب " بعد ذلك اجمع ما يصلني منك، أدققه ثم أرفعه إلى ... " مشيراً بفوهة السيكار إلى أعلى " أنا المنسق " لوى إبهامه ودل على نفسه " سأتولى تنسيق المهام بين المجموعات وداخل كل مجموعة " أشعل السيكار " أدعني بالمنسق فقط " سحب من السيكار عدة أنفاس قصيرة متلاحقة " لقد وقع الاختيار عليكم لأنكم من الموظفين النابهين "سحب نفساً قوياً ونفثه كمدخنة " كي تعملوا على قضايا عويصة" ورسم بالسيكار خيوطاً دخانية شملت الأوراق الموضوعة فوق الطاولة " بحاجة إلى تدقيق وتمحيص " ونفث هالة متقطعة من الدخان " والآن لنتكلم عن مهمتك ". تراءت عيناه قائمتين.

تميز الشيء الغريب والغليظ في صوت الرفيق نعمان، والذي أصبح واضحاً تماماً في صوت الرفيق المنسق، لم يكن تلك الخنة المتشحطة، وإنما بالضبط الكلمات تجرش في سمعه برتابة سقيمة وما تزال.

" هل تعرف حانة روكسي؟ "

" لم أدخلها "

"هذا ما توقعته، أنت لا تعلم عنها شيئاً " عاد الجرش ممطوطاً "لقد وردنا عنها تقريران متناقضان" وعلق الدخان بينهما "الأول يؤكد أنها بؤرة للرذائل تدار منها شبكة أو عدة شبكات مشبوهة. والثاني... "لوح بيده طارداً الدخان "الثاني يؤكد أنها حانة كغيرها يتعاطى روادها ما يتعاطونه عادة أي لا غبار عليها" وسارع بسؤال "بأيهما نأخذ؟ " كان يوجهه إلى نفسه "التقرير الأول يستدعي منا مداهمة المكان والقبض على جميع من فيه" وألحقه بسؤال ذكي "ماذا لو كان التقرير كيدياً؟" لم ينتظر جواباً "أما التقرير الثاني فيستدعي تركهم في حالهم وعلى حالهم" وهنا استدرك بحنكة "ماذا لو كان التقرير كاذباً؟ " مع ابتسامة في منتهى الدهاء "في الحالين، نحن لم نخطئ عندما لم نأخذ بشهادات مخبرين إما متحاملين أو مرتشين، وقطعاً لا يصح الوثوق بهم" وبحركة انسيابية من يده، شارك السيكار بإضفاء قدر من الارتياح على ملامحه، وقد وجد الحل "وإنما الاستعانة بموظفين أمناء وعلى حظ من الثقافة"

كموظف وُصف لتوه بالأمانة، وقبل حين بالنباهة، وجد أن الأمانة تحضه على الإفصاح عن إمكاناته دونما مراعاة النباهة.

"في الحقيقة، ليست لدي تجربة في هذا المضمار "

"هذا هو المطلوب، لا تجربة. وبذلك نستطيع الاطمئنان إلى نزاهتك"

"أنا عديم الخبرة بأعمال التحري "

"العمل الذي ستقوم به يفوق قدرات المخبرين والتحريين، هؤلاء تنقصهم المقدرة على النفوذ إلى ما تحت المظاهر. أنت نموذج ممتاز لما نبتغيه، متعلم، وأيضاً مثقف، مع ميزة استثنائية لا يستهان بها، أنت تكتب القصص، لديك قصة منشورة. "

أحس بدوار لذيذ وهو يسأله مبهوراً.

" هل قرأتها؟ "

" بالطبع قرأتها "

الدوار يبلغ فوراً أقصى متعته وهو يندفع متسائلاً.

"ما رأيك فيها؟ "

"باختصار جيدة مؤثرة و ... "

لم يصدق أن الرفيق المنسق كان يغمغم باحثاً عن تعبيرات أقوى يمتدح بها قصته، ورغم أن الكلمات خانته أو أن حصيلته من المفردات البليغة كانت فقيرة، فقد طغى علية إحساس بالإكبار نحو المنسق الذي قرظ قصته بكلمتين واعتبرها جزءاً لا يتجزأ من مؤهلاته.

"وكما سوف ترى، لن تكون الأجواء التي سترتادها والأشخاص الذين ستخالطهم سوى عناصر قصصية تربط بينها دون تعسف في تقرير يؤلف من الواقع "

ورد عليه بفطنة قصصية لم يستطع تفاديها.

"أيها الرفيق المنسق، اسمح لي أن أجلب نظرك إلى أن الخيال هو الذي يربط بين العناصر المختلفة في القصة "

"لا بأس هذه المرة سيكون صلباً" نهض وأكمل "ستباشر عملك اليوم مساءً اشرب باعتدال وراقب ما يجري بعين يقظة"

كان قد نهض معه فيما سارع المراسل إليهما.

" رفيق حسن، سيدلك المراسل على طريق الخروج "

لم يكن طريق الخروج سوى باب جانبي يقع في زاوية الغرفة، انسل منه وسبق المراسل، محاولاً الإبقاء على مسافة بينهما، لكن سرعان ما التصق به المراسل مبربراً.

" أنا أعرف روكسي ستسمع فيها الكثير، لا تلتفت إلى حوادث السطو والاحتيال، هناك جرائم قتل وربما وفقت بحادثة اغتصاب "

"أهذه رسالة؟" رمقه باشمئزاز.

"رسالة مني " وكشر مبتسما " انتبه، لست الوحيد المكلـــف بهـــذه المهمة، هناك آخر، وهناك أيضاً من سيراقبكما "

نفر من مداهنته " أأنت الذي سيراقبنا؟ " سأله ببرود.

"أنا وأنت فريق واحد " وفقع المراسل بضحكة عالية قبل أن ينفصـــل عنه في الفسحة الخلفية للداخلية.

Abu Abdo Albagl

٨ ـ لماذا تكتب ؟

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

في اليوم نفسه، السبت عصراً، كان موعده.

استقبلته السيدة جيهان بثوب صيفي ملون ومحتشم، وجه بلا مكياج، خصلة من شعرها تغطي طرف جبينها. قادته بوقار إلى الصالون، كل ما حوله يلمع، مساند الكنبات والترابيزات وزجاج النوافذ والبلاط، إلى الجدران والسقف. رائحة معقم خفيفة يخالطها فوح ياسمين، تذهب بهما هبة هواء ساخن ومروحة تدور. غابت السيدة جيهان قليلاً وعادت برزمة قصصه، وضعتها على الترابيزة، ثم غابت فترة أطول وعادت بالقهوة، كانت قد حددت مدة الزيارة بالزمن الذي يستغرقه احتساء فنجان قهوة.

رشفت رشفة من فنجانها. حاكاها، رشف رشفة من فنجانه. وضعت فنجانها على الترابيزة، تناولت قصصه وطفقت تعلق عليها بإيجاز، موضوعات طريفة، لغة جميلة، نهايات جيدة، على العموم لا بأس. وسكتت. كانت اللابأس مجحفة بقصصه، أراد أن يشكرها، لكنه لم يبصرها، كانت أشعة الشمس المنسطحة على الجدار قد طوقته وأغشت عينيه.

لمحها تغلق ستائر النافذة، ثم رآها ترشف رشفة قهوة، ورآها أيضاً، وكأنها تدير فكرة في رأسها، تبرر تلك اللا بأس بانتقادات أدبية وبأسلوب لطيف ومبطن كي لا تجرحه.

" لماذا تكتب؟ " قالتها بلهجة غائمة ومحيرة وكأنها تؤنبه أو تنهره أو ترثي له.

كان قد أعد لكل سؤال جواب ما عدا هذا السؤال البسيط ... لماذا يكتب؟! ترى يكتب من أجل الشهرة، أم كي يحقق ذاته، أو يكتشف ذاته، أم أنها الرغبة الجارفة في كتابة الحياة، والأمل في سبر غورها وإماطة اللثام عن ألغازها ... بالكلمات؟ قد يكون هذا أو هذا، أو شيء من هذا ومن هذا أو لا شيء من أي شيء. يحس أنه أمر يجهله، وهو إنما يحلم به ويتوق إليه ويضيع حياته كلها لتحقيقه، وسيمضي العمر به، وينتهي العمر به، دون أن يعرفه وسيقضي العمر كله وهو مدفوع إلى الكتابة، محموم فيها ومرغم عليها، ودائماً يكتب أو يريد أن يكتب، وأن يبقى يكتب، وأن يموت من أجل أن يكتب. لماذا؟ لماذا هذا السؤال البسيط غامض جداً؟ لماذا لا يكون الجواب بسيطاً جداً وبديهياً؟

" لا أدري "

" أهي هواية تتسلى بها؟ " سألته بحدة.

" لا، أردت دائماً أن تكون الكتابة مهنتي "

" لكنك موظف "

" موظف في العلن كي أكسب عيشي "

" أنصحك بالإقلاع عن كتابة أمثال هذه ... " قالت برأفة و لم تكمل.

حتى أنها أنفت من وصفها بالقصص. لماذا؟ ألأنه ينافسها؟ مظهرة بجلاء عداوة المهنة، ما ذنبه إذا كانا يعالجان الموضوعات نفسها؟!

" ما العيب فيها؟ "

" العيب؟! ألا ترى أنه من المستحيل أن يكون هناك أشباه لأبطال قصصك، رجال مرهفو الإحساس، رقيقو الشعور، ونسوة مخيفات من شدة بلادة مشاعرهن؟ الرجل تجيش دخيلته بعواطف وتضحيات، الرجال

غريبون عنها، والمرأة فظة ظالمة كرجل جلف عديم القلب، وفيما يقضي الرجل نحبه في الحب مغلوباً أو مسلولاً، تمضي البطلة غير عابئة به إلى سهرة أو موعد أو شيء على وزن هذه الترهات. هل تجد ما تكتبه مقنعاً؟

جزع، قصصه ستنهار بين لحظة وأخرى أمام عينيه، وتتناثر إلى بضع سذاجات وحماقات. وتأهب للدفاع عنها بشراسة.

" الواقع يحفل بقصص أغرب من هذه " رد بتحد.

" لم لا تكتب عن أحداث عشتها أو شهدتها؟ "

" أنا لم أعش و لم أشهد أحداثاً مهمة "

" أو أشخاص عرفتهم "

" الأشخاص الذين عرفتهم لا يستلفتون النظر " وحدق فيها متوتراً.

" أقصد الأمور اليومية والبشر العاديين "

"الأمور الصغيرة لا تهمني وأولئك الأشخاص لا يستحقون الكتابة عنهم " قال باستخفاف.

"إذاً اكتب الحقيقة وليس تخيلاتك عنها "

"تخيلاتي!!" رد بخوف وكأنها أمسكته بالجرم المشهود.

"هل أحببت كما ذاك الحب الذي ملأت به صفحات وصفحات؟"

"لا، لكنني عندما أحب سأحب كما في قصصي "

"بهذا التخنث؟! "

"أنا لا أفهم "

"خيال سخيف" قالت باستنكار.

ليس أنه لم يفهم، بل كان فاهماً وغاضباً، تمتهنه بقسوة وتسخر من

حب تاق إليه، على هذا النمط، كما كتبه تماماً محفوفاً بالخيـــال الرفيـــع، خيال تسمو به النفس، اتكأ عليه بحذر ثم تعيبه عليه !!

" لقد استخدمت قسطاً ضئيلاً من الخيال، لا يكاد يستحق الذكر " قالها وهو يعني كل كلمة " بل وجهدت في كبحه "

"ضئيل!! تخلص منه "

يتخلص منه يعني، التبرؤ من قصصه وكأن موهبته إدعاء، وبدعـــة مخيال مزيف.

"أنتِ، ألا تتخيلين؟ "

"أنا أكتب عن مشاعري ولا أختلقها. وأنت ... "

"أنا؟! "

"أكتب عن نفسك "

تعطي لنفسها الحق بنصيحة جائرة تطال أفكاره وخيالاته وأحلامـــه لمجرد أنها كاتبة معروفة، تكبره بأربع سنوات، وتكتـــب بخفـــر وحقـــد وتعاسة، وهو المبتدىء في الكتابة، وبلا مغامرات عاطفية، عليه أن يلـــزم حدود ضنك تجاربه.

اعترض مُعـــرِّضاً بقصصها وحياتها.

"إذا كتبت عن نفسي، فسوف أقضي عمري وأنا أجـــتر الكتابـــة عنها"

" أفضل من الكتابة عن أمور تجهلها "

لجمه صوتها العميق والنفاذ، ملامحه انصبغت بالإعياء، وهـــي كأنهـــا بطلة من بطلاته تلهو به، وقبل أن يبدر منه رد وقح رآه مكتوباً في واحدة من أكثر قصصه قسوة، رد لن يأمن عواقبه، حشر الرزمة في جيبه واتخـــذ طريقه صامتاً صوب الباب، وهي تشيعه.

" في المرة القادمة أنا واثقة أنك ستحمل شيئاً مختلفاً "

حالت مهمته في روكسي بينه وبين الانجراف في ثورته، هائماً على وجهه في الطرقات يندب آماله التي تدهورت. كان اليأس ترفاً لا تسمح به ليلته الأولى في العمل، تفاداه منطلقاً إلى دخلة يتذكرها ضيقة، شحيحة بالضوء والمارة، وتعبق بأبخرة قيء وبول، وكانت كما توقع. دلف منها إلى حانة روكسي، وكانت كما لم يتوقع، كهفاً يعسعس فيه الدخان والروائح المتخمرة. تلمس كرسياً، انكمش فوقه منقبضاً بين معالم وأشباح مقبضة، إلى أن تكشَّف أشخاصاً، ومكاناً لم يكن أكثر من حطام حانة أو دكان سمان دعي بحانة.

أضواء قليلة، خابية، أشرطة الكهرباء مدلاة من السقف المعتم، كراس مخلخلة، جدران تبقعت بطلاء مقشور، وأشباه بشر نحيلون ممصوصو الوجوه عليهم سيماء التشرد، وضاربون إلى السواد. صاحب الحانة المترهل يقرقع متنقلاً بين الزبائن، فتاة سمراء ممتلئة الصدر، تصلبت في جلستها، المفترض أنها فتاة البار، فيما البار مصطبة من خشب كسي بجلد داكن تمزقت أطرافه. رفوف صفت عليها زجاجات لأنواع مختلفة من النبيذ والكونياك والشمبانيا، شمعدانان لويت حواملهما، إلى جوارهما خردة تنوعت أشكالها ولا نفع منها، وقطرميزات المخلل والزيتون والمكسرات. على الجدار أعلى من مستوى النظر بقليل لوحة بألوان باهتة، مرج عشب يابس، وغادة بروب شفاف متسخ لا ينم عن تقاطيع جسدها، ترمي بفتات خبز لبطتين في بركة ماء جافة، الغادة تضع مونوكولا أسود حول عينيها اليسرى، وإحدى البطتين طوق يثقب عنقها!!

طلب زجاجة براندي، شرب قدحاً على مهل، نداءات الزبائن تتردد

... أبو سمعان، صحن فستق، بزر، ثلج،ماء. تختلط بمواء قطط تتمسح بأرجل الطاولات وتنترها أرجل الزبائن. صاحب الحانة أبو سمعان يلبي الطلبات بتثاقل، فتاة البار تملأ الصحون بآلية. شرب قدحاً ثانياً، غمغمة ضحكات، وعيون تروزه، اضطرب وقد أصبح محط أنظارهم وهذرهم، لا، لم يحسن الظهور إلا كشخص مريب، و لم يعد بمقدوره إصلاح ما أفسده بسحنته الكئيبة وأعصابه المشدودة، جيهان عكرت مهمته برصانتها الباردة ونقدها المتهكم وأوامرها وأحكامها، وعلى ماذا؟ على قصص انتزعها من بنات أفكاره، عابت عليه خيالاً تفتقر إليه، لن يعود إليها بشيء جديد أو مختلف، لن يعود إليها أبداً. أما المنسق، فعلى العكس أطرى خياله وتحمس له. أي تناقض!! ينال مديحاً من موظف، والأنكى من رفيق بعيد عن الأدب وعوالم القص، ويشجعه على استخدامه في حانة!! أليس هذا غريباً؟! خيال في غير محله، يهدر على وكر قميء، وأناس وضيعين، لصوص وسكارى، وكر قد تدار فيه شبكة قذرة، لكنها صغيرة جداً، لو أن الداخلية كافأت مخبريها بشكل معقول لما كانت تلك التقارير المتناقضة، ولما كان في أثر شبكة لا قيمة لها، مضيعاً وقته على شبهات تافهة، لا تحتاج إلى منسق ومجموعة سرية ومراقب.

أليست الداخلية على خطأ؟

٩ ـ الداخلية على خطأ

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

... ولا عجب ألم تكن الداخلية على خطأ دائماً؟ روكسي التي عاد إليها مصمماً على البقاء فيها فترة أطول والشرب بنفس مفتوحة واعتدال، كانت مصداقاً لتخميناته.

مع القدح الثاني، اتسعت روكسي بغمامات من دخان أخذت بالتمدد، وهي تنفصم وتلتئم، تعبر الرؤوس وتتكدس في العتمة. مع الثالث، أصبح المكان أكثر إضاءة ومسربلاً بالضباب، أليفاً بمعالمه، مريحاً بزبائنه. مع الرابع، استرخى مبصبصاً على فتاة البار، ربما كانت في مكانها أو بدّلته أو أنها كانت تطل من كوة في الضباب أو المصطبة، منومة على نحو متيقظ، تحدق بعينين فارغتين في اتجاه مستقيم.

لم يكمل الخامس، الضباب يتهاطل كندف الثلج ويذوب إلى سراب وماء، قال لنفسه ثقل رأسي، نفضه. صحا متنبهاً، الزجاجة فارغة، قال لنفسه، سأمزمز ما تبقى من قدحي حتى آخر الليل.

مع المزمزة، عاد كل شيء إلى نصابه، غمامات الدخان ارتفعت متجمعة في السقف، فتاة البار تخلصت من الكوة والضباب، أبو سمعان الذي كان يتمشى على الحائط، نزل عنه وتوجه نحوه.

" مبسوط أستاذ، هل تريد شيئاً؟"

أبو سمعان يطبطب على كرشه.

" مبسوط لا يلزمني شيء "

اطمئن، وأبو سمعان ثبت أمامه دون اهتزاز، إلى أنه بات صاحياً وباستطاعته أن يفتح معه حديثاً، استهله مبدياً إعجابه بروكسي وأطنب في المديح. ما كان من أبو سمعان الذي انتظر من زبونه الجديد مبادرة

صغيرة، وفاجأه بمجاملة سخية، إلا أن قاطعه وتسلم زمام الحديث واسترسل فيه بإسهاب، وبطلاقة دليلٍ سياحي، بعثت الماضي الاستعماري التليد لروكسي.

روكسي ... الحانة المفضلة لقوات فيشي وفرنسا الحرة والحلفاء، فيها تبادلوا التهم بالخيانة العظمى، منهم من رفع أنخاب النصر بلا حساب، ومنهم من تجرع سكرات الهزيمة بلا مرارة. ظننا أنهم سيبقون إلى الأبد لكنهم غادروا وتركوا تذكارات جنونهم وعبثهم وهذيانات حنينهم ... هذه الزجاجات من بقاياهم، جاؤوا بها معهم من القاهرة وبيروت، احتفظت بها، طبعاً فارغة، إنها من الأنواع المعتقة والفاخرة، من الأصناف المرغوبة للمناسبات، ولزبائن يتميزون بذائقة متطلبة ومزاج عارم ... هذه، لا، إنها تبدو خردة، لكنها تذكارات صغيرة، وسام كسبته برهان ضئيل وكان مزيفاً. أيقونة مسروقة من كنيسة في القدس، سقطت من أحدهم ولم يطلب استرجاعها. والشمعدانان قايضت عليهما عسكري سنغالي ببطحتي عرق. والخوذة الإنكليزية والقصعة الفرنسية والمطرة الاسترالية والجعبة الهندية، لكل منها حكاية ... اللوحة؟ رسمها أرتيست لبناني مفلس من زحلة، سدد بها حساب سكرة لشخصين وتكسير أربعة صحون وكرسي، وعَدَ بإكمالها لقاء سكرة بلا تكسير وهرب بعد أن أدمى أنف ليوتنان سخر من لوحته ... المونوكل والطوق؟ لا، ليسا من أصل اللوحة بل إضافات لاحقة من جراء مباراة في دقة التصويب بين أجودان فرنسي وسارجنت إنكليزي وما زالت آثارها، طلقتين مغروزتين في عين الغادة ورقبة البطة. نعم، تبدل الزبائن، مرَّ زمن طويل، عشرون سنة وأكثر، رحل من رحل، وجاء من جاء، منهم من كان أسوأ قليلاً، ومنهم من كان أفضل قليلاً ... انظر كما ترى.

وكما رأى، لم يكن بينهم ما يستلفت النظر، هرج ممطوط يعج باللغو والتذمر والسباب، أصواتهم تعلو وتنخفض، يتكلمون مع بعضهم بعضاً ومع أنفسهم، همومهم شرطة وأولاد حرام وأجراء سفلة، حتى

الزعران محترفو المتاعب، كانت لهم متاعبهم فلانة تخدعهم وفلانة تستغل طيبتهم.

وكما رأى، يبدو أنه هو الذي استلفت نظر شاب أنيق الهندام، حليق الذقن، يلبس بدلة رصاصية وكرافتة حمراء مخططة يلمع في خنصره خاتم بفص ازرق. بدا مثله لا يمت لروكسي بصلة ويختلف عن الجالسين معه، الشاب يرمقه بعينين نصف مغمضتين، ويبتسم أيضاً، كأنه يعرفه. تأمله بحذر لا لم يره من قبل. عينا الشاب اللتان ضاقتا تتفحصانه بعمق، تذكر المراقب والفريق الثاني والمنسق. عينا الشاب ترقبانه بإمعان. لا بد أنه المراقب العتيد المراقب الذكي، يا للمهزلة، عيناه الغبيتان تفضحانه.

عاوده النشاط عقب اكتشافه، هتف مهللاً بشيء ما ومنتشياً، لوح له بعضهم ضاحكين، ما الذي هلل به؟! نهض رجل أحول ووضع كمشة بزر وفستق على طاولته، وكرّمه أبو سمعان بوضع شمعدان، أشعل منه شمعتين، فيما رجل من مجالسي المراقب، قدم له قدح عرق ضيافة، شف منه شفة، لمح أسارير المراقب تنبسط. ما هذه السرية؟! نادى أبو سمعان وطلب منه إرسال بطحة عرق على حسابه إلى المراقب الذي تقبلها علناً وبرضا بالغ.

المراقب ينقر بأصابعه على صحن ألمنيوم، يدندن، يرتفع صوته في الغناء.

آه من لقاك في أول يوم

طابت الجلسة، طاب الصوت والبحة الخفيفة والحزينة.

ونظرتك لي بعينيك

يوغل المراقب في الطرب والعرق والسؤال.

يا هل ترى؟!

هتافات نشوة، وشبكة على سجيتها، المراقب على رأسها.

يا هل ترى؟!

شبكة؟! يوافقه المراقب من بعيد، شبكة السرور والانشراح وغسل

الهموم. والمكان يدور، يدور معه، تتألق فتاة البار بسمرة غامقة، عيناهـــا تلوحان كثيبتين، حمرة شفاهها الفاقعة تتوهج بلهب أحمر. والمراقب يرسل رسائله.

رح تعطف على فؤاد متلهف

يترنح المكان من آه إلى آه. المراقب يبطئ من سرعته، ويتلبث عنـد آه طويلة، تتهادى حرّى.

وإذ يحاول تفسير رسائل تترى ملغزة، لا يرى الباب ولا الرجل طويل القامة الذي دخل منه، وإنما يرى سواداً يحجب الرؤوس والآهات، سـواداً كان سواد الحلّة التي يرتديها الرجل طويل القامة، الذي جلس مواجهتـه دونما استئذان، ذبالتا الشمعتين تضيئان وجهاً طولانياً، وأنفاً مدبباً، وبدلـة قاتمة اللون كاحتة تتهدل على جذع نحيل، ياقة القميص مهترئة ومتسـخة. الرجل يتكلم، الرذاذ يتناثر من فمه، الرجل يفتعل حديثـاً تدفـق بلغـة مهشمة أو مكسرة، انقطع عندما أخرج من جيبه منديلاً مجعداً كخرقـة أخذ يفرده ويشد أطرافه.

ما الذي كان الرجل ذو الأنف المدبب يقوله؟! هذر لا معنى لـه؟! لم يلتقط من سيل حديثه غير الواضح سوى كلمة حـظ مرتـين أو ثـلاث مرات. أهذا البائس عاثر حظ؟! من سيكون إذا لم يكن عاثر حظ فعـلاً، وليس هذا فحسب، بل ومقرف أيضاً، وهو يتمخط في المنديل ويمسـح عرقه به، ثم يحدق فيه بصفاقة غريبة.

" أزح عينيك عني " صرخ في الرجل بانزعاج.

" إنني ... " قال الرجل بعنفصة.

وكأنه سيتسول منه وبالقسر، وبهذه الطريقة الوقحة، ثمن سندويشـة فلافل أو بطحة عرق.

"إنني أقرأك " قال الرجل بصوت رخيم وأسلوب تمثيلي مفخـم، ثم قهقه، اهتزت أطرافه بجذل، وكأنه ألقى نكتة أضحكته، وتكلم بسـرعة بتلك اللغة المهشمة والمكسرة معاً، وترددت الكلمة ذاتها ... الحظ.

" تقرأني؟ " سأله، وفي الوقت نفسه، صحح في ذهنه وتلقائياً هفوة ما سمعه، الرجل ليس عاثر حظ وإنما قارئ حظ، يحلق فيه بعينين نفاذتين يتهجى خطوطاً على وجهه، يعبس وشفته السفلى ترتجف.

" أنت غير مقروء " ويرتد ملسوعاً.

" ما الذي يمنعك ؟ " قرب وجهه نحو الشمعتين " الضوء كاف "

" هناك ما يخرج من رأسك ويحيط بك "

" هالة" قال متهكماً "أنا قديس "

" يكاد يأتي عليك " انخطف لونه " أنا لا أمزح " ابتعد بجذعه وقد اتسعت عيناه تمتم " هل تتخيل شيئاً؟!"

" أتخيل انك دجال "

" قل شيئاً آخر " رجاه قارئ الحظ باستغاثة.

" ابحث عن حيلة غيرها "

قناة تصل بينهما، تسري بالكذب والنظرات الشيطانية، ولا بد أنها ستحافظ على تدفقها مع شيء من الرياء لكن قارئ الحظ لملم جاكتته وتحفز للنهوض.

"اجلس" أمره.

صدع قارىء الحظ بالأمر، في عينيه نظرة خوف ويأس، القناة تكهربت بالتوجس، ثمة ما أخذ يتكون بشكل عفوي تماماً، السكون المزحوم بالأشياء والأشخاص، بالضباب والسراب، يتجوف بصمت حافل بلغط أخرس، وكأنها تلك اللحظة الهائلة التي تسبق معالم تتشكل وتتوامى، ستنقض عليهما وتمعسهما بأثقال هولها.

وإذ يرى قارىء الحظ مبلكماً، مكوماً على نفسه، متوتراً بارتعاشات مروعة. يشفق عليه ويفقد رجاءه منه يستعد وحيداً لتلقي المساس الخارق لبرق لمع وضرب الفراغ ويعثره ثم ربض على صدره، وضغط، طاوياً به الزمان والمكان بسرعة جنونية، أو أنه لا يطوي ثانية واحدة ولا شبراً واحداً، وهو في تسارعه أو تجمده، يختطف نظرة إلى قارىء الحظ، ويراه

مسطوع الحيل والحيلة، يدرك أنهما لا يركبان اللحظة ذاتها، وإنما انقطعت بهما، كلٌ في زمن. قارىء الحظ يشعر بأنه ثابت في مكانه، راكد، ولا شيء يمضي. فيما هو مثله، لكنه ممزق بين ما يمضي والذي لا يمضي. لا ليس أن ينتزعه من تمفصله مع الزمان والمكان، بل أن يبوح له بأنهما يتشاركان بشيء ما، هو حدس، حدس بأن لكليهما علاقة بإحساسات غامضة.

زوى ما بين عينيه محدداً ما يراه من التسلل الساكن والجارف. في الأمام، قارىء الحظ مخلوع القلب. وراءه، الخلفية تتبدل بلمح البصر. قال له، وهو أن يحاول أن يكون دقيقاً في التعبير.

" في بعض الأحيان أتخيل أموراً تختلط مع الواقع، لا تدوم سوى دقائق معدودات، خلالها، تُشكل عليَّ ولا أميز بينهما، أستطيع السيطرة على نفسي، وأشعر بأن هناك حداً فاصلاً إن اجتزته فسوف أوهب طاقة. لا أدري ما هذه الطاقة، هل ستجعلني أكثر جرأة، حماقة، هوراً؟ تأملني جيداً، ربما كانت هذه بداياتها، أشعر بغبش في عيوني، وشريان ينتفض في صدغي. أبق إلى جواري، لا أريد أن أكون وحيداً، رافقني أو راقبني "

رمى بنظرة سريعة على المكان قبل أن ينطلق، تراءى مدلهماً بوشوشاته وسحاباته، ومغلقاً بتوازنه، مرتباً، وغير مهيأ للإقلاع.

" لقد بالغتُ، هناك شخص يجب أن يظهر، لكنه لم يظهر ربما كان الأمر غير جدي أو أنه تأخر. أو قد تكون أنت الذي يحرك فيّ ما أشعر به، ذهني يعمل كالنار، رأسي يحترق، أنا مشوش. كان يجب أن يحدث شيء ما، أو ربما كان يحدث الآن. قل لي ما الذي تراه؟ "

" لا شيء" فغر قارىء الحظ فمه بانسطال خرع. كان خائفاً. لم يكن في مستوى الموقف وغير أهل لإحساسات عصية على الفهم.

" أخشى أنني اخترعتك " بقها كجذوة نار.

" اخترعتني !! " بلعط قارىء الحظ مذعوراً.

" أنت مجرد أنني توهمتك " قالها باحتقار وسأم.

لم ينتبه كيف انسحب قارىء الحظ. هل تبدد؟! أم رحل متلقطاً على رؤوس أصابع قدميه؟ سيان. يجب أن يغادر بأقصى سرعة، لن يستطيع أن يعود القهقرى إلى ما كان عليه، منتشياً ومطروباً.

ترنح واقفاً. لم يكن متأكداً فيما إذا كان قد اقترب من المراقب أم حانت نظرة منه إليه. يتذكر، أن المراقب دعاه إلى كأس، ويتذكر أنه تجاهل دعوته المتسرعة. المراقب الغرير يسعى لعقد صلة معه، مبكرة جداً، يتفقان فيها على مضمون واحد لتقريرين، جاهلاً أن هناك فريقاً آخر ومراقباً آخر، وإذا كانا شبه متفقين على أن روكسي والشبكة المزعومة لا يصح أن تؤخذا على محمل الصحو ولا الجد، فهذا يجب أن يتم دون تواطؤ سافر بينهما.

عزيف من ليل، هواء رطّب له أفكاره وأطلق خواطره، لم تكن عن روكسي، كانت عن جيهان، تواردت نصائحها بصوت آسر، وتداعت اعتراضاته بصوت واهن، ومن سد إلى رد، قصص تضمحل وقصص تبزغ.

" سأكتب "

.صعد الدرج إلى ملجأ الإلهام يستدرجه النسيم والحنين والكلمات، إلى سكون كاد أن يكون دامساً، وكاد الثقب الأسود أن يكون مسرحاً للعتمة، لولا أنهم أعلنوا عن قدومهم بخفيف متشنج وخرير موتور.

لم تكن أشباحهم وإنما هم ... العشاق الضامرون الأوفياء، والمعشوقات الجميلات البضات، يتسمرون بأوضاع جانبية وأمامية، على الأخصاص والنوافذ والأبواب، من وراء سجف مطرزة، ملامحهم تذوب لوعة وتتحجر قسوة، عيونهم تشرق بالدمع والاستهتار، يلغون معاً وبترق، يثيرون حيرته وشفقته. وإذ يتملقهم ويؤجلهم، ينبذون شحوبهم ولياقتهم الجسمانية، ودلعهم، ويتلفعون بنظرات شزرة تنضح بالوقاحة، في حالة توازن عشوائي، حالة دفاع مستميتة. جفوة كقذى الكوابيس. ليته لم

يرهم!! أبطاله الذين قولبهم على الغرام والأرق، الضعف والسهاد، الحياء والعناد، ورسم ملامح لطفهم وانكسارهم، كياستهم ولباقتهم، مصهورة ببراءتهم وغوايتهم، بتوازن دقيق، وعلى شيء من طراوة الحلم. يا للخسارة، كان جمالهم فيضاً من وداعتهم وخفتهم. ينأون عنه وينأى عنهم، متنكرين له في فراق جهير وقطيعة حتى العظم.

أطاحت بلبه هجمة زلزلت ملكاته، وولت راحلة بمن فيها، خلّفته خالي الوفاض من القصص، وموهبة باتت عديمة الجدوى، موغلاً بقلق في دروب اليباب والفراغ، وظلام يستشري إلى ظلام، ظلامٌ لم يوح بفكرة وإنما ــ يا للإلهام أو بالمصادفات اللغة أو اشتقاقاتها ــ الكلمة نفسها (الظلمة) أوحت بـ (الظلم) الظلم؟!! وانسكبت سواداً على بياض، تتشربه الآلاف المؤلفة من الأوراق، ظلم الداخلية معجون بظلمة الحياة وشقاء البشر، تعاسات لامراء فيها، وفاقة لا خلاف عليها، حقوق تهضم وحقوق تهدر، وحقوق تضيع بين الأخذ والرد، يبتذلها حبر الداخلية، وتبتلعها دوامة الأرشيف.

" سأكتب قصصاً واقعية "

تدفقت بسيطة التركيب، جلية المغزى، وتداعت مواقفها بتلقائية مع شذرات من حوارات، شخصيات مطموسة ومجهولة وتشبق على الحصر، في أدوار رئيسية، لا اصطناع فيها ولا تكلف، يبهظها الحيف والغبن وتواقة إلى الإنصاف، العسر يطبع حياتها بمآس هي قصص، سيكتبها بضمير حي ودافع أخلاقي نبيل.

" أية قصة من دونهما هراء "

وفوجيء ــ دونما مقدمات ــ بالرجل الضالع، وجهاً لوجه، في مشهد مرتجل ــ دونما أعراض ــ هو فيه والرجل الضالع دخيلاً عليه، منقبض الملامح، خائباً أو مخيباً، مكدوداً، يرمقه من بحران ذهوله، يجمجم أو يلوك الهواء.

لم يره من قبل بهذه الحالة الملتاثة، أراد أن يسأله ولم يسأله. وإذ

أصبحا كتفاً لكتف، أنفاس الرجل الضالع تحتدم في صدره محروقة، صوتـــه طنين أو أنين، وكأنه انتزع نفسه من فراش الحمى مصطحباً معه حشـــرجة أنفاسه وحمحماته.

وإذ باتا ظهراً لظهر، يتناهى زفيره وشهيقه مفعمين بالشـــكوك عـــن الواقع والمتوقع وغير المتوقع، يبغي إثناءه عما اعتزم عليه.

" فات الأوان " قال للرجل الضالع.

ابتعد عنه ممتنعاً عليه، أو أن الرجل الضالع ابتعد ممتنعاً عنه.

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

١٠ ـ جحيم الواقع

جحيم الغرام

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

" ألم تتعجل؟ "

تساءلت الكاتبة المعروفة وهي تستقبل الكاتب الناشيء الذي غادرها قبل يومين متعثر القدمين، وعاد إليها ثابت القدمين، قائلاً بأن لديه شيئاً جديداً، ومختلفاً، وممتلىء الجعبة بالمشاريع القصصية، وسيكتب عن أشياء يعرفها.

" حبذا لو كنت تعرف عنها الكثير " علقت.

لكن – كما سيقول – لن يكتب عن نفسه بل عن الآخرين، لقد عثر على موضوعاته الحقيقية وبحوزته كمٌ هائل منها، وعلى دراية وافية بها. وشرح خطته في العمل، سيستعين بأرشيف وزارة الداخلية، مستقياً منه وقائع لا يرقى إليها الشك، يعيد كتابتها على شكل قصص تنبش الواقع بأسلوب أدبي.

" أسلوب أدبي؟ "

لم تستهجن سذاجته بل خيلاءه، ما الحاجة إلى الأدب أو الأسلوب في كتابة واقع غير مشرف لأناس يعيشون في أوساط متحللة من المبادىء الرفيعة، لا يحفلون بالأدب بل بقلة الأدب، ويخلون من المشاعر المرهفة، قصص إنما تستخلص من مواد خام غير صالحة أصلاً للأدب؟!

" إن محاضر الاستنطاق وملفات دائرة المصادرات، وحدها، تحتوي على قصص لا أول لها ولا آخر. لن تتصوري كم تكشف الـ (سئل وأجاب) عن بشر لا حول لهم ولا قوة، وفي منتهى الجهل والبؤس، وأيضاً تلك المصادرات لأشياء تبدو زهيدة القيمة، فيما تشكل بالنسبة لهم عبئاً باهظاً لا يطاق، حتى تلك الغرامات الضئيلة لا يتمكنون من سدادها"

ما الذي يحتويه أرشيف الداخلية إلا تلك الموضوعات المكدرة وفي النهاية

غير الممتعة؟! وما الذي يستطيع الكاتب الناشى كتابته عن بشر خليط من مخالفين وباعة جوالين وغيرهم، وشرطة وموظفين بأصنافهم، ومجرمين لا تحصى أنواعهم؟ وهل بمكنته إنطاقهم أو جعلهم يفكرون بلغة سليمة وواضحة، لغة المجتمع المتعلم، فيما لغتهم ثرثرات عامية غاية في التفاهة، لا تستأهل أكثر من محضر استنطاق؟!

" ناهيك عن أولئك المطلوبين من جراء جنح يجهلونها، والموقوفين لأشهر دونما سبب، والمساجين المظاليم الأبرياء، تخيلي عائلاتهم التي لا تجد في غيابهم ما يقيم أودهم، والأولاد المشردين في الشوارع. أحداث حقيقية، سأرويها بحذافيرها بلا تجميل، شخصياتهم من لحم ودم، ليسوا غريبين عني، إنهم أشباه أهل حارتي وأناس أصادفهم يومياً في الأسواق والأزقة. لا، لن أكتفي بمعرفتهم من بعيد بل سأستدل على أماكن إقامتهم وعملهم، وأراقبهم عن كثب وأتكلم معهم "

ثمة جاذبية في المساجين المظاليم والأطفال المشردين، وثمة أيضاً مغامرة لم تعد ركيكة تماماً في تقصيه لأبطاله عن قرب، وهي رغم مثالبها جديرة بالحماسة.

"... لن أجد انفعالاتي أو رجع خيالاتي، وإنما حقيقة أكيدة وراسخة، عالم مجهول سأخرجه إلى النور، ترى هل أستطيع نقله بأمانة؟ ترى هل..."

هدف نافذ الصبر يستولي عليه، يتوهج بفكرة عليا، يتقراها بإيمان مع عذاب، تتلمسه نظيفاً من الترهات، يسعى للخوض في المصائر الغامضة لتلك الحيوات الهشة والمسحوقة، متكشفاً ألماً ضارياً يعصف بنفوس مهانة. لم تشك بمراميه القريبة : الإنصاف. والبعيدة : العدالة. بون شاسع بينهما!! وأيضاً قدراته مشكوك فيها. هل سيرمم إخلاصه لقضيته ثغراتها ونواقص قدراته؟! ربما. الخلاصة، صحيح أنه سيمتح من واقع فظ لكن بوحي هدف سام.

"وستلعب المرأة في قصصي أدواراً هامة "

اشرأبت برأسها متحفزة للسماع.

"دوران لا ثالث لهما، أم متفانية أو زوجة صابرة "

لم تملك نفسها، كافأته دون توان على مخططاته التي لم تغفل المرأة.

"إذا أنتَ لم تكتب هذه القصص، فلن يكتبها أحد غيرك "

وأعطته دفعاً قوياً، بما أن هذه الموضوعات تحت يده وشبه جاهزة، نصحته بعدم بعثرة جهوده والتركيز على حرفيات القصة : التقاط المواقف المعبرة، الحبكة الجيدة، استعراض الحدث بقوة، النهاية المؤثرة. وضربت أمثلة من قصصها على مواقف وحبكات ونهايات نموذجية، لم تكن — في رأيه — لها علاقة ولا مطابقة، منتقدة غيرها من القصاصين، مستخلصة قواعد ذهبية في بناء القصة، وافقها عليها، متلمذاً على يديها. ورغم أن إصغاءه المتشوف انقطع مرتين وهي تجري خارجة من الصالون وكأن أحداً ناداها، فقد كان الحديث يتصل من حيث توقف.

كان ما أنجزاه ملموساً، لقد تقاسما الكتابة، هو سيكتب من صميم الحياة وجحيم الواقع، وهي ستكتب عن أوهام الحب وجحيم الغرام، وتعززت القسمة وكل منهما يتكلم عما يخصه، وتوطدت أواصر الإبداع بينهما، محلقين في حديث شائق ما زال فيه متلهفاً على إرشاداتها، التي لم تبخل عليه بها، غير أنها وقد تعبت من أستاذيتها، خففت منها، وسألته بمودة ودونما تكلف عن أحواله.

لم يستطع قول الكثير عن الوظيفة التي يكرهها وأجبر عليها، أو عن الوظيفة التي نقل إليها، وليست لديه حتى الآن فكرة وافية عنها، كما أنه مبدئياً غير مرتاح إليها.

"غريب أرى أن تستنكف عنها "

أما عن قريبه عدنان بك فهو يراه لماماً.

"عدنان بك قريبك؟ إنه رجل محترم "

وصديقه سمير أصطفاني الذي يلتقي به دائماً.

"شاعر !! لم أسمع به "

وبثته طرفاً من شؤونها وحياتها... ارتياحها لوحدتها، وللقليل من الأقارب والمعارف. تعتني بأمها العجوز التي تسكن معها (هي التي كانت

تناديني) أخوها الأكبر يزورها أيام الجمع والعطل (كان هنا يوم الجمعة الماضية) يوفر لها كل ما تحتاجه، عدا أن لديها مورداً مالياً ثابتاً (ورثته عن أبي) استغنت عن العمل ولا يهمها المقابل التافه لما تنشره من قصص (أغلبها دون مقابل)، أما زواجها (من ذلك الشخص) فقد كان خطأ ندمت عليه (تصورته على غير حقيقته) لا تدري كيف حدث (في الحقيقة، لا أريد أن أتذكر) و لم يكن حباً (الحب شيء مستحيل) الصداقة أفضل.

و كأنها قصة هبطت عليه أو أنه ارتجلها، وفي الحالتين، هي من صميم الحياة، وتعبر أصدق تعبير عن أن الحب شيء مستحيل، تبدأ: لمحها على مدرج الجامعة و... لكنها بترتها قبل أن يكمل الجملة الأولى ودعته إلى العشاء.

" عشاء بسيط من حواضر البيت، لن يستغرق تحضيره سوى فترة إعدادي للشاي "

كانت لفتة بسيطة وحميمة، ومن شدة ذهوله، شرد برعونة، ودونما أي سبب معقول، نظر إلى الساعة، كان العقرب الكبير يشير إلى أنه ومنذ ربع ساعة كان عليه أن يكون في روكسي التي تبعد عن بيتها ربع ساعة مشياً على الأقدام، ومن الأسلم أن يسجل المراقب نصف ساعة تأخير على غيابه الكامل.

اعتذر، وطلب منها بخجل، تأجيل دعوتها إلى الغد وفي وقت أبكر قليلاً.

" في كل ليلة لدي موعد لا أستطيع التخلف عنه "

أجلتْ دعوتها وتساءلت.

" موعد في مثل هذه الساعة؟! "

" هناك قصة بانتظاري "

" قصة؟!"

" قصة حقيقية "

١١ـ يا قلبي آه

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

كانوا بانتظاره، من المراقب الذي انفرجت أساريره وذبلت عيناه، إلى أبي سمعان الذي هرع إليه حاملاً زجاجة براندي وقدح وصحن مكسرات مشكلة، حتى فتاة البار اختصته بنظرة فاترة قبل أن تحول بصرها عنه.

روكسي في فاصل خامل من النعاس، الطافح بالهمس الجامح بالروائح، على أهبة النشاط، المراقب يدوزن صوته استعداداً لتقديم نمرة ملحوظة لم تتأخر

يا قلبي آه

علا بها، وكبا على الطاولة صافناً، مخفياً رأسه بين ساعديه، قد استنفدت الآه الأولى صوته وقواه.

بعد أن تحرر من نظرات المراقب، أدار رأسه من حوله دورة لم تكتمل، وقع بصره على سمير أصطفاني منغمساً في جدال مع شخص لم يتميزه. ما الذي جاء به؟! أصطفاني لم يأت على ذكر روكسي مطلقاً. والأدهى، كيف سيبرر لأصطفاني وجوده في روكسي وحيداً؟! توقع أن يناديه أصطفاني بمجرد أن يلمحه. كانت مهمته قد تعقدت.

لم يخب ظنه، بعد قليل، أحس به يقترب من خلفه، وينحني عليه، يده تلتف حول رأسه، طبق من الكرتون يدس تحت أنفه. ما هذه المزحة؟! وصوت حاد يخرق أذنه.

"مسكة شكلس "

لم يكن أصطفاني، كان بائع مسكة. أبعد الطبق عن وجهه بانزعاج.

"اشتر واحدة " الصوت الحاد يأمره بفظاظة.

نبرة لم تكن غريبة على سمعه، تشبه ... ماذا تشبه؟! همَّ بطرده، لكن

بائع المسكة انسل من خلفه وجلس إلى جواره. انبرم نحوه غاضباً، لم يكن إلا المراسل برأسه الكبير ومنكبيه العريضين، مقعياً بمرفقيه مفتوح الشدقين ككلب يتحفز للنباح.

"ثمنها ربع ليرة " دافعاً إليه بعلبة مسكة صغيرة.

رمى له بليرة في الطبق، اختطفها المراسل ووضعها في جيبه ولم يرد الباقي.

" ما معي فراطة "

وأخذ ينتقي من صحن المكسرات حبات الفستق ويكومها في راحته.

لم يخف غيظه، المراسل تطفل على مائدته وبعد قليل سيتطفل على قدحه.

" إياك أن تمس قدحي " قال بحزم.

" أنا لا أقرب المنكر "

"ولا تطل جلوسك معي، لا أريد أن أبدو أمام الزبائن وكأنني أستضيف أياً كان "

"لا تخف إنهم معتادون على سماجاتي" وهمس "لدي رسالة لك"

"أين هي؟ " تخيلها داخل علبة المسكة.

"إنها شفوية "

"قلها بسرعة "

"يخشى المنسق أن يكون قارىء الحظ قد كشفك "

"قل له ألا يخشى شيئاً، إلا إذا كان يصدق أن قارئي الحظ يعلمون الغيب"

"البارحة أفرطت بالشرب، وربما بحت له بشيء، تقرير المراقب لم يكن في صالحك، أقترح استبعادك "

إذاً المراقب الذي تزلف إليه بقدح عرق وأغنية لأم كلثوم، كان يدبر له دسيسة دنيئة!!

"المراقب لا يصلح للمراقبة أصلا، أي مراقب هذا الذي يتجسس علي جهراً دونما حيطة متباهياً بأنه يراقبني، ثم شرب حتى فقد صوابه وغنى"

"المراقب لا يغني في أوقات العمل"

يا قلبي آه، آه، مديدة وتنطفئ.

"أ سمعت، هذا صوته. انظر إليه، مهرج حقيقي، بدلة رصاصية وكرافة حمراء، قميص مخطط وقرنفلة في عروة جاكته. لا بد أن قال للجميع أنه من الداخلية كي لا يدفع ثمن ما يشربه "

"هذا ليس المراقب، إنه ..."

"أهو من مجموعة أخرى؟ "

"ربما، الواضح أنه متنكر بهذه الملابس الملونة وهو قواد أو..."

"أو ماذا؟!"

"لم لا يكون قواداً، على كل حال، يبدو من نظراته أنه يشك بك"

"ماالذي يريده مني؟!"

"لا أدري "

ألقى نظرة على الشاب الذي كان مراقباً والآن، ربما كان قواداً، أو موظفاً مثله من الفريق الموازي وفي المهمة نفسها.

"سأتجاهله"

"يجب أن تصلح أمورك معه، إذا كان يظن أنك من الداخلية. فعليك أن تصرف ظنونه إلى شيء آخر، قبل أن يحاول رشوتك "

"سأرفض الرشوة "

"إذا رفضتها فإن شكوكه ستتعاظم وإذا قبلتها فسوف يتأكد أنك من الداخلية" حك رأسه "انتظرني"

نهض إلى فتاة البار، حط بجذعه على المصطبة، بربر معها، وعاد متخايلاً.

"لن يضايقك بعد اليوم، لقد اتفقت مع جولييت "

"جولييت؟! فتاة البار؟! "

"ستغادر معك بعد خمس دقائق، وسيراكما الجميع خارجين معاً "

"أغادر معها؟!"

"إذا كان قواداً فسوف يعتقد أنك لن ترتكب هذه المخالفة في حال

كنت من الداخلية، وإذا كان من الفريق الثاني، فعلى التأكيد ستزيل شكوكه عنك "

"أين سأتركها؟ "

"لن تتركها ستقضي الليلة معها "

"أنام معها!!"

"إنها مقبولة، من الأفضل أن تكمل مشوارك، وتشيع من حولك شيئاً وضيعاً وملموساً نوعاً ما"

غمزه، حمل طبقه وانصرف إلى الطاولات المجاورة، لم تعد روكسي فسحة للانشراح والانبساط، وإنما مكاناً موبوءاً يخمخم فيه سكارى مشبوهين من المستويات المتدنية والمشينة، حتى المراسل كان موهوباً كقواد محترف.

التفت إلى أصطفاني، رآه يتحدث مع جليسه وهما ينظران إليه، فوجئ أن جليس أصطفاني لم يكن سوى قارىء الحظ الدجال. عليه أن يغادر في الحال، نادى أبا سمعان طالباً منه الحساب.

"حسابك مدفوع " قال أبو سمعان وأشار إلى الشاب ذي الملابس الملونة "دفعه المطرب " رفع الشاب يده محيياً وقد رفع عقيرته بالغناء.

"ندعوه بالمطرب، أليس صوته جميلاً؟ "

"كم كان الحساب؟ "

"عشر ليرات "

عرج نحو المطرب ونتر في وجهه عشر ليرات، وأكمل إلى جولييت، تأبطت حقيبتها وتبعته، غناء يشيعه

الحب وراه أشجان وألم

في بحة الصوت سخرية واستهزاء.

وقف عند الرصيف ينتظر تكسياً، جولييت إلى جواره صامتة، سمع أصطفاني يناديه، لم يلتفت، توقفت تاكسي، صعد مع جولييت إلى المقعد الخلفي، أصطفاني يركض نحوهما، ويدركهما، يفتح الباب الأمامي ويركب إلى جانب السائق.

"ناديتك لماذا لم تنتظرني؟" سأله أصطفاني.

" لم أسمعك"

كان يفكر بوسيلة يتخلص بها من جولييت، والآن بوسيلة يتخلص بها من أصطفاني أيضاً، سائق السيارة يتفرس فيهما من خلال المرآة الأمامية. كيف ينجو من ليلة حمراء أرغم عليها؟ سيعتذر من جولييت بأن مزاجه غير مؤات الليلة ويرضيها بكامل أجرها. ماذا سيكون انطباع أصطفاني عنه، صديقه المتحلل في الشعر والمتحفظ مع النساء؟ سيقول له شيئاً ما عن التجربة والواقع. سائق السيارة يرمقه بنظرات خبيثة. انزعج وطلب منه التوقف عند مدخل الحارة، دفع له الأجرة وسبقهما بخطوات قليلة.

في البيت، أضاء لمبة الديار، توقع أن تدخل جولييت وحدها، أما أصطفاني فسوف يحرد من معاملته الجافة. لكن دخلا معاً. دخل غرفة النوم، لحقت به جولييت وتخلف أصطفاني، حسناً سينهي الأمر معها، جلست جولييت على طرف السرير، فكر، ماذا لو قالت جولييت لأبي سمعان بأنه جاء بها حتى الفراش و لم يمسها؟! أبو سمعان لن يكتم خبراً طريفاً كهذا عن زبائنه، أية فضيحة، وتضيع عملية التمويه. ثم ازدادت الأمور سوءاً، ظهر أصطفاني ووقف عند الباب كالأبله، وأصبحت الأمور في منتهى السوء، إذ أخذت جولييت تخلع كندرتها وأصطفاني ينقل بصره بينهما مشدوهاً. جولييت تضع يديها في حضنها.

"أنتما اثنان "

"نحن اثنان " مختطفاً نظرة نحو أصطفاني.

خطر له، أصطفاني لم ينسحب ربما كان يرغب في المشاركة.

"سندفع عن اثنين " قال.

فكت أزرار بلوزتها، خلعتها وعلقتها على قائمة السرير. أصطفاني يرمقه، هو يرمق أصطفاني، ثم يرمقان جولييت.

جولييت بالشلحة الزهرية اللون، العرق يتر من مفرق ثدييها المنتفخين.

"تعبانة، لا تتفننوا "

أنزلت الشلحة إلى خصرها.

"من الأول؟ "

لوت يديها إلى خلفها لتفك حمالة الصدر.

أدار بصره عنها، تقدم نحو أصطفاني، سيحثه على أن يكـــون الأول، لم ينظر إليه.

"ما رأيك أن تكون الأول؟ "

أمسكه أصطفاني من يده وشده خارجاً به إلى الديار.

"لا أصدق ما يجري "

"أنا أيضاً لا أصدق "

"لم أعرفك بهذه الخسة "

"ستتكلم فيما بعد " وتلجلج الكلام في فمه.

"إنك تدفع مالاً لقاء الحب "

"هذا ليس حباً "

"وماذا يكون؟ "

"شيء غير الحب "

"هذا حقارة وأنت حقير "

"أنا مضطر "

"ما الذي يضطرك؟!"

ورأى نفسه مجرداً من الأخلاق والمبادئ والحب، موســـــوماً بالخطـــة والكذب والاستغلال. في سبيل ماذا؟ الداخلية.

"ظروفي تجبرني" وزاد " لا تسألني "

اكفهر وجه أصطفاني.

"سأصارحك، قارىء الحظ حذرني منك، لقد كان على حق "

وصفق الباب خلفه بقوة.

١٢ ـ صورتان في المرآة

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

مستلقية على الفراش، عارية، طرف الشرشف يستر اسفل بطنـــها، ترنو إلى السقف بعينين ترمشان. على المرآة المشعورة، انشعرت صورتـــه، قال للوجه المشعور، أنا لم أتنازل عن مثالياتي ولن أتنازل، رغم أنني أبـــدو كأنني تنكرت لالتزاماتي الأخلاقية، في الحقيقة، لا أريد استغلال جســـدها لإشباع نزواتي، ولا أرغب فيها على الإطلاق، بالعكس، أنا بحاجة ملحـــة إلى النوم، ومستعد للبقاء معها بلا حراك حتى الصباح، لكن مهمتي تحتـــم عليّ القيام بفعل مخز، وهو عمل طارئ رغم أنفي، ولا أستسيغه، سأرتكبه باشمئزاز، مسلوب الإرادة، وأدفع لقاءه!! أما هي، فربما كانت غير راضيـــة عن هذا العمل، غير أنها ستمارسه بمحض إرادتها، وبلا مبالاة، وتطـــالب بأجرها دونما خجل أو عذاب الضمير.

في عمق المرآة، كانت مضطجعة، وجهها متيبس التقاطيع، ندبة علـــى الرقبة، ثديان خاملان، كدمة على الركبة، ووسطها مشـــعور. يواجهـــه، عري أعضائه مكشراً عن عضلات تقلصـــت وعظـــام نتـــأت ومســـام اقشعرت، وعلى وجهه عذرية قانطة. أيها الولـــد الجـــاهل، مـــا الـــذي ستفعله؟!

أطفأ النور على عريهما البارد والخامد، سبح في الظلمة، تمنى اجتيـــاز المسافة إليها دون وعي، والاعتراف لها، أنها المرأة الأولى والتجربـــة الأولى. عسى أن تساعده وتجعل مهمته أقل وطأة.

"هل اسمك جولييت؟ " طلع صوته راجفاً.

"جولييت في روكسي " جاءه صوتها بعد حين، ومن بعيد.

"ما هو اسمك؟ "

"لا أحبه "

زحزح قدميه صوبها، اصطدمت ساقه بمقدمة السرير، صعد إليه، جثا على ركبتيه، تمدد بجانبها، رائحة صابون رخيص، وعرق رخيص. جثم حابساً أنفاسه، يستنجد بالغريزة العمياء وبشهوات طالما عذبته. يشحذ رغباته ويشحن الظلمة بعيون جهنمية وشفاه قرمزية وأثداء عارمة. اتكأ على ساعده مستديراً نحوها، أحس بخشونة عندما تلاصق كعباه، تذكر أنه مازال مرتدياً جوربيه.

"نسيت أن أخلع جواربي" انتزعهما من قدميه " لا أريد مضايقتك بهما" مجرد ثرثرة غبية، جواربه لن تضايقها بشيء.

لم تنبس بحرف، ولم يرتد مضطجعاً إلى جانبها. ما الذي يفعله؟! وبحركة يائسة انقلب إليها، وأصبح فوقها متأرجحاً، نصفه الأسفل متدلياً من الفراش ورأسه عند مفرق فخذيها.

"لا تنحلق، عايفة حالي "

أمسكته من إبطيه و شدته نحوها إلى الأعلى، صدره ينسحب فوق صدرها، مرفقاه إلى جانبي رأسها، خده يلتصق بخدها، ساقاه بين فخذيها. تطوقه ذراعاها، ساقاها تلتفان حول وركيه وتضغطان، شفتاها عند أذنه.

"عجّل نعسانة "وتلكزه بعقب قدمها.

يحتويه قفص طري من اللحم المبلل بالزيت، قصره نعومته، وانزلاق لزوجته، يستكين مبهوراً إلى رخاوته وارتجاجاته، تلطشه حماوة شعواء، كأنها لسعة قيظ، تسلقه بلذة حارقة، كضربة قاضية تفلق رأسه وترمي به إلى خلاء عظيم، كثيف ومروع، مضاء بالكامل، فارغ تماماً، مسكر ومدوخ، أشبه بشهقة طويلة تعلق في حلقه، ولها مذاق خارق، اختفى من فوره، طعم لا يوصف ولا يشبه شيئاً.

يداها تبعدانه، ينزل عن الفراش، منوماً يضرب في ظلام ممسوح

كورقة ناصعة البياض. يلملم، مرتجاً، شتات طراوات ما زالـــت تتلظـــى برعشات مفارق سرية، يسترجعها دون ترتيب، كمشح تشتعل بغمـــوض. كأنها لم تحصل، لم تكن، وآخر قام بفعلته.

"أين رفيقك؟ "نبهه صوتها القادم من سهوة.

أضاء النواصة، أرسل بصره إليها، هناك كان هناك فوقـــها. ســـاقها مثنية، يداها تشابكت تحت رأسها، شعرها انسدل على عينين مغمضتـــين، الضوء الأحمر الخافت يروغ ملطعاً جسدها بظلال انسكبت وانســـابت، ضمخت سمرتها بتعاريج صاعدة ونازلة، تشظت على ثديين نفرا وفخذيـــن تصلبا وصرة توهجت... وخيالات تلضم أوضاعاً توالت ملتحمة علـــى جسد استوى غافياً ومشرئباً، وانسطح مأدبة من جمر.

ارتعش دنقاً من برده، دنقاً إلى جسد ارتخى محموماً بحمى تلغو بالنـــلو، سعيرها يلسعه، وهبالها يلدغه. ومن القرب، يتقراها بشفتيه ويتنشقها.

"مرة ثانية؟ ! " وتدفعه بإعياء.

"كان صديقي، الآن، دوري "

"أين هو؟ كان لطيفاً "

"لقد ذهب ".

"ستتعبني " تئن وتتلوى متغنجة.

يغيب عن صوابه، ويدلف إلى صواب الشهوة الخالصة ورشد الغريـــزة الجامحة. أيها الولد الجاهل، اذهب إلى المعرفة.

تقبض على كتفيه، تغرز أظافرها في عضلاته.

"إنك تثيرني " وشهقة جارحة.

يستطعم نكهات مذاقها المالح، وزفيرها السحيق، ونبضها العميـــق. تتلذذ بتوجعاتها، وصرخة ألم تمزقها ... يدركها متمزقاً، مغسولاً بأشلاء النشوة.

بعد دقائق أو بعد ساعات سمع خربشة، فتح عينيـــه، رآهـــا ترفـــع سحاب التنورة.

"انتظري حتى الصباح "

لم ترد، تحدق بالحائط وهي تبكل بلوزتها.

"المحفظة في جيبي "

انحنت، رفعت البنطال من على الأرض.

طمَّ وجهه في المخدة.

Abu Abdo Albagl

١٣ . نظريتها في الغرام

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

حول المائدة ثلاثة كراسي. قالت جيهان وهي تنقل الصحون الصغيرة إلى الطاولة، إن أمها متعبة ولن تشاركهما العشاء.

"هنا يجلس أخي " أشارت إلى الكرسي الذي جلس عليه.

"وهنا تجلس أمي " أشارت إلى الكرسي الفارغ.

لاحظ وهما يأكلان، أنها تحاذر أن تصدر صوتاً، وتتكلم بصوت منخفض عن أمها التي تنام هلوسة وتستيقظ من أقل حركة.

"أهي مريضة؟ "

"كانت في صحة جيدة، لكنها ساءت كثيراً عندما مات أخي فجأة، التاعت لفقدانه، كان الأصغر والمدلل، في البداية لم تصدق، ثم نسيت انه مات، وأخذت تسأل عنه، في بعض الأحيان أسمعها تتكلم معه"

فكر، الفجيعة أصابت أمها بلوثة أدت بها إلى الخرف.

"لو رأتك أمي لظنتك هو "

"هل أشبهه؟! "

"أمي لم تعد تميز بين الأشخاص" "تأملته" نعم، تشبهه، كان في سنك"

أهي المصادفة، أم أنه الخرف الذي أدى إلى شبهة، أو كلاهما تعاقبا في رقعة صغيرة، تفوح فيها رائحة الزعتر والشاي، حول طاولة عليها مشمع مربعاته صغيرة، وهو جالس فوق كرسي مبطن بالإسفنج، يجلس عليه عادة أخوها الذي على قيد الحياة، وفي الوقت نفسه يشبه أخاها الذي

مات، مصادفة مأساوية أسهمت فيها عجوز لا تميز، وهـــذه الـــتي تمـــيز وتؤكد شبهاً لا غبار عليه، و لم يسع هو إليه.

"... وكأنك أخي "

"أنا لي مأساتي أيضاً " أعلن مواسياً.

لم يكتمها، رواها لها مضطرباً، فقدانه لوالديه وهو صبي لم يتجـــاوز الخامسة عشرة من عمره، في تلك السن التي كان فيها بأمس الحاجـــة إلى أب وأم، عاش يتماً مضنياً ووحدة قاسية.

"طوال حياتي وأنا أنشد رفقة " ختم نداءه واختتم عشاءه.

نداء استجابت له، عندما انتقلا إلى الصالون. تنازلت عـــن كونهـــا القاصة المعروفة والمعلمة الناصحة، وتبدت صديقة رائقة ورائعة في صداقـــة سوقتها وطأة المآسي.

أنصت إليها بكليته، وصدف عنها بأفكاره، ذاهباً بها بعيداً إليـــها، إلى صورتها في مجلة تتوجها أوسمة من حروف ذهبية، إلى القبو كما رآهـا لأول مرة، ملفوفة القوام ومن عالم النساء الرصينات، فاتنة كما في فيلم ملـــون، هي ألوانه الحية. يرده صوتها، تبدو أكثر رصانة، وبلا تمثيـــل، قميصـــها الحريري الفيروزي اللون يبرز بياض بشرتها الحليبي، الضاربـــة إلى الأحمـــر الريان، وأريج يهب لاغياً ومسكراً... لو أنه يتشممه من منابعه.

تباً له !! ما الذي يراوده؟! أليست هي الخيانة بأم عينـــها للصديقـــة المطمئنة له؟! كيف سولت له نفسه أن يمتع ناظريه بها على نحو يفتقـــر إلى ذلك النقاء الروحي الذي أشاعته قرابة ارتجلت قبل دقائق؟!

"ما رأيك بالحب؟! "

ارتبك، وكأنها اكتشفت ما خطر له، أراد أن ينفي شيئاً لم يكن حبـلَ بأن يقول عن الحب شيئاً بسيطاً وخارقاً في آن واحد.

"الحب، يالها من كلمة جميلة، الحب أثمن ما في الكون وما في الوجـود

و ..." واستدرك نفسه، كان يلقي خطاباً في الحب !! يا له من إنشاء !!

"لا أقصد الكلمة بحد ذاتها" تدخلت "وإنما هل أحسست بالحب يوماً؟"

"لا، لا، أؤكد لكِ "

"الشبان الذين في عمرك يتعرضون لمثل هذه المشاعر "

"الحب معجزة لا تتحقق بسهولة، أنا لم أحظ بمثل هذه المعجزة "

"معجزة لا تدوم " عقبت.

"لكن لا بد منه " قال بيقين " ولا يد لأحد فيه "

"غير أنه مستحيل " أكدت.

أخذت تشرح نظريتها في الحب، كتعريف: مسٌّ عاطفي مؤقت. كأطراف: أي العاشقين، كل منهما يحب ذاته، ويخلع على الآخر خصالاً وصفات يتمناها، شفافية الروح، جمال الجسد، تقارب الطباع، تطابق الأفكار. متعامياً عن العيوب والمساوئ، وهو على الأغلب لا يبصرها. يحس انه يولد من جديد وأن للحياة معنى، والفصول ربيعاً متواصلاً. يظن أن الحب عطاء متبادل، لكنه يجهل انه عطاء، في جوهره، يترع نحو التملك، يريد أن يكون كل شيء في حياة الآخر، دراما عاطفية، رديئة وكاذبة، سرعان ما تتحول إلى كراهية تضع نهاية واقعية للحب.

" أليس هناك حب حقيقي؟! "

" الحب الحقيقي يجمع بين روحين وقلبين يستأنسان بالشقاء واليأس، حب يتجسد في الفراق والبعاد، ويتعيش على الشوق واللهفة، حب دونما أمل، يحيا على ضفاف الموت، وحتى الموت، الموت هو أبديته. "

إلى أي مجهول ألقت به، وعلى أية رؤية فتحت له عينيه؟! سنوات وهو يستسهل الحب، ولا يدري أن معجزته الحقة في صعوبته واستحالته، شرطه الفراق الدائم بين جسدين، واللقاء الدائم بين روحين، هيامهما

مناجاة على أديم الليل، واكتماله اتحادهما في الموت.

"ما أخبار قصتك؟! "

"قصة، أية قصة؟! "

"القصة التي كانت بانتظارك البارحة "

ترى، قصته مع المراسل أو المراقب المطرب، أصطفاني أم جولييت وليلة ليلاء؟!

"وعرة، وعرة تماماً "

"متى ستكتبها؟ "

"أعتقد أنه لا يمكن أن توضع على الورق، بسبب وقائعها المريبة، كما أن شخصياتها غير نموذجية، أقصد ملوثة "

وانبلجت تحت ضوء أحمر خافت، كزمهرير ساخن، تلامسات لا حدود لها، وعري لا تقشف فيه، والتحام شهقات وزفرات.

"ليس هناك وقائع أو شخصيات لا يصح تناولها لأنها غير نظيفة، المهم هو المغزى الذي تهدف إليه القصة "

متلقفا كلماتها، كطوق نجاة، مدركاً أنه، في هذه اللحظة، لا سبيل للنجاة، مدركاً أنه وهو ينظر إليها لن تنقذه، وإنما على الحافة، حافة هوة، يهوي فيها ويجرها معه، بالرغم منه، بالرغم منها.

أزرار قميصها تتقطع وتتدحرج على الأرض، ابزيم كندرتها ينحل، سحاب تنورتها ينفرج إلى آخره! عن بطانة التنورة، هناك ما يتفتق على مهل أو يتمزق بعناية، ياقة القميص المتهدلة تتزلق عن كتفها وتنحسر كاشفة عن وحمة أعلى الثدي. حمالتا الصدر ترتخيان. جواربها تلتف نازلة على ساقيها.

"إذا نهضتْ واقفةً فسوف تتساقط ملابسها دفعة واحدة" قال لنفسه "ولو خطر لها أن تحدق في عيوني فسوف تلحظ ما آلت إليه "

ولى وجهه عنها وأطرق برأسه أرضاً. ما الذي يعاوده مـــن جديـد ودونما حشمة؟! أخلاقياته ومثالياته لا تساعده البتة !!

"لقد ابتليت بتهيؤات فاجرة" تمتم.

"ماذا قلت؟ "

"لا شيء "

يسترق النظر إليها، يطيل المشهد، يديره بحذر، كي لا تنتبه. استندت إلى الكنبة، اتكأت بمرفقها إلى الطراحة الصغيرة، ثم مالت برأسها وزمـت ساقيها. مـزَقُ ثيابها تتفجر بأحمالها المكورة، يتأثر من خلـل نسـالات الخيوط، خطوطاً تتسيب طالعة ونازلة إلى مفرق أو ثنية، وغلالات أراقـت بياضاً شاحباً على بياض ترصص لدناً ومتكسراً.

لو يلمس شيئاً منه شيئاً منها.

وتخرج من المشهد بكامل هندامها، ويطرقه صوتها قلقاً.

" أأنت مريض؟! "

"دوخة بسيطة" تمنى لو أن الأرض تبتلعه.

"يبدو عليك الإرهاق "

ونصحته بالذهاب إلى البيت والنوم باكراً.

"لا أستطيع لدي موعد " قال متلعثماً " القصة ذاتها "

"ما بالها؟ "

" لم أفرغ منها بعد "

من فرط خزيه ارتفعت حرارته، هواء الليل الرطب يدغدغ وجنتيـه، ومع هذا كان يشتعل، ولن يطول الوقت عندما سيقضي محترقاً عقاباً حقـاً على تخيلاته المسمومة، كان في منتهى المكر والخبث مع جيهان التي محضتـه قرابة خالصة، ومحضها بالمقابل غدراً خالصاً ... مـزَّقَ ملابسها وعراها.

في غمرة غدره وعريها، أضاع روكسي.

"أخطأت الشارع أم الدخلة؟! " تساءل في العتمة.

ارتد على أعقابه. شارع بور سعيد، مقهى الهافانا، سينما الأهـــرام، مطعم لوازيس، المكتبة، دكان بائع الجرائد، ثم الدخلـــة، الدخلـــة الـــتي دخلها!!

عاد ثانية، الظلمة، الروائح المألوفة ... إذا، أين الباب الذي ينشق عن ضوء مغبر بالدخان؟ هاهو الباب مغلق، دفعه، لم ينفتح، لمس شيئاً صلبـــاً ونافراً، أشعل عود كبريت، الباب مختوم بالشمع الأحمر !! ورقة ملصقـــة أعلى الباب.

مخالفة تموينية : المحل مغلق لمدة أسبوع لتجاوزه التسعيرة المحددة.

Abu Abdo Alagl

١٤ . وداعاً أيها اللهو

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

أهلاً بالتبطل والفراغ والملل، الأمور ستمضي على ما يـــرام، ختـــم روكسي بالشمع الأحمر سيوفر له قضاء أمسيات ممتعة مع جيهان لا تنقطع وهما في عنفوان انسجامهما، أمسيات هي إجازة إجبارية منحته إياها دونمـا قصد مخالفة تموينية لم تكن على البال، أبعدت عنه المراسل الذي لن يعـــثر عليه، وهو بدوره لن يبحث عنه، وإذا كان زبائن روكسي لن يعبؤوا بهـذه العطلة وسينقلون نشاطاتهم إلى خمارات أخرى، فهو بدوره لن يوزع ليلـــه وجهوده بين خمارة وأخرى، المشكلة هي، مشكلة المنسق الذي لم يضـــع دوريات التموين في حسبانه. لكن...

المشكلة بدورها مشكلته، وهي ليست ضياع أسبوع كامل بلا عمل، وإنما في أن المراسل سيتغافل عنه خلال هذا الأسبوع، وقبل تمامه سينتهزها فرصة ويكيد له عند المنسق الذي سيحاسبه حساباً عسـيراً علـى عـدم إعلامه بإغلاق روكسي. وهكذا لم تعد الأمور تمضي على ما يـرام ولا في صالحه.

جال الداخلية طابقاً طابقاً باحثاً عن المراسل، توقع أن يلقاه في بهـو أو دهليز أو غرفة أو على عتبة باب، كي يطلب منه إبلاغ المنســق بتوقـف المهمة. صادف سليم أفندي الذي حياه بحـرارة، ولم يظفـر بالمراسـل، وحينما مرَّ ثانية أمام غرفة المنسق ذات الباب القبيح والسرّي، نقر عليـــه بلطف.

" جئت في وقتك "

قال المنسق دونما استغراب، وكأنه كان بانتظاره. سحب مصنفاً مـن

كوم المصنفات، فتحه رافعاً إياه عالياً. المصنف في مرمى بصره، وقد كتب على غلافه (روكسي – حسن لطفي) بالخط الأحمر العريض. ورغم أن المنسق أخفى وجهه خلف المصنف، لم يخف أنه، ومن مكمنه هذا، يقود عدة مجموعات عبر مصنفات معنونة بأسماء ومهمات، ومتخمة بالتقارير.

أنزل المنسق المصنف من يده فيما ارتفع صوته.

" لقد عاقبتُ المراسل وأوقفته عن العمل بضعة أيام، لأنه أملى عليك نصائح غبية، قصيرة النظر "

عندئذ، وضد إرادته، هب للدفاع عن شريكه في المجموعة.

" نصائح كانت في محلها، حذرني من قارئ الحظ والإفراط في الشرب، ومن شاب يطلقون عليه في روكسي لقب المطرب "

" المطرب؟! "

" إنه يغني "

"ما المهم في أنه يغني؟! المهم هو أنت "

" أنا؟! "

" بالطبع، أنت ظننت أن نصائح المراسل، ويا ليتها كانت نصائح، هي تعليمات، وارتكبت خطأ فادحاً باصطحابك جولييت على الملأ إلى بيتك و ... " همهم ثم قلب شفته بامتعاض " أنت تعرف البقية "

" كانت عملية تمويه أمام الزبائن، وبالذات أمام المطرب، كان سيسئ إلى مهمتي "

" ومن يكون حتى يسئ إلى مهمتك؟! "

" لقد تحرش بي علناً وبوقاحة "

"كان بوسعك التخلص منه بلباقة وبكلمتين، من غير أن تجلب الأنظار إليك بهذه التمثيلية السخيفة"

"ربما كان قواداً"

"ما المشكلة في كونه قواداً؟! "

"حاول أن يقدم لي خدماته "

"حاول !! ما الذي قاله لك؟ "

كان واضحاً له تماماً، أن المنسق يلف ويدور مبعداً الشبهة عن المطرب، غير أنه كان له بالمرصاد، يلف ويدور معه وبالاتجاه المعاكس، موجهاً الشبهة إلى المطرب، دون أن يوحي له بأنه اكتشف رجله، رجل المجموعة الثانية.

"أنا متأكد، أنه شخص غير نظيف" قال بإصرار.

"نظيف أو غير نظيف، ربما كان يخدعنا، وهو واحد ممن نحن في أثرهم، كان من الأفضل أن توثق علاقتك به، أو ربما كان مثلنا يتعقب القضية نفسها "

"مثلنا ولا نعلم به؟! "

وكأن هناك مجموعة فلتت من سيطرة المنسق.

"هناك أجهزة أمنية كثيرة ومعروفة، وهناك أجهزة أمنية غير معروفة، نشأت وتشكلت بسرية تامة. إن لدي شكوكاً قوية في أن داخل روكسي من يعمل لجهاز من هذه الأجهزة السرية "

"أليست روكسي من اختصاص الداخلية؟ "

"روكسي ليست من اختصاصنا فقط "

"لكن القضية جنائية "

"دعنا من وصف القضية، جنائية كانت أم غير جنائية، يجب أن تعرف أن في روكسي أكثر من شبكة وأكثر من جهة تنشط فيها، ليست هناك مشكلة، إلا إذا كنا نجري وراء القضية نفسها "

"لم لا نتعاون معهم؟! "

"لماذا؟! نحن أقدر منهم على الكشف عنها "

"أو التنسيق بيننا وبينهم "

"سيسطون عليها، نحن لن نتركها لهم، لأنهم سيخرجوننا منها،

ويسعون أيضاً للإيقاع بنا "

إذاً، الداخلية على سباق مع الأجهزة في قضية كبيرة ومتشعبة.

"وكأن روكسي ليست كما... "

"روكسي كما هي " قاطعه المنسق.

"أي أن القضية هي التي تجعل من روكسي وكأنها ليست ... "

"القضية قضيتنا " قاطعه المنسق ثانية " وأرجو أن لا تكون قد قدمت لهم شيئاً يستعملونه ضدنا "

"أنا لم أقدم لهم شيئاً "

"إذا عرفوا من أرسلك، فسوف يدّعون أنك اصطحبت جولييت معك قسراً، مستغلاً وظيفتك في الداخلية "

"أنا لم أرغمها، ذهبت معي بمحض إرادتها، ثم أنها أخذت نقوداً مني"

"سيثبتون العكس "

"سوف أنكر "

"هي لن تنكر، وبذلك تكون قد وقعت بين أيديهم "

لم يفهم والمنسق يدحض أقواله هل هو معه أم معهم !!

"ألن تساعدونني؟ "

"لن يكون بوسعنا التدخل لصالحك، كي لا نكشف عن أنفسنا، نحن نتكتم وسائلنا. لقد ارتكبت عملاً طائشاً، إذا اقتصرت عقوبتك على طردك من الوظيفة فأنت محظوظ "

"هل هناك أكثر؟! "

"من يدري ما الذي سيضيفونه من اتهامات؟! "

من غير عناء تكهن بالاتهامات الأخرى. ألم يستغل مرافقة أصطفاني لهما، وأوهم جولييت بأنهم اثنان وليس واحد؟! اتهام جاهز، تسهيل الدعارة والحض عليها بدعوة صديق لتعاطي الرذيلة.

"طبعاً هذه كلها مخاوف غير حقيقية " قال المنسق ضاحكاً.

مخاوفه التي تفاقمت وتفاوتت واضمحلت، ذكرته بالأمر الذي جـــاء من أجله، ختم روكسي بالشمع الأحمر، أهو مصادفة أم ...؟ المنســـق لم يأت عليه. ألأنه بلا أهمية أم لأنه يجهله؟ لا، بالتأكيد هو على علم به.

"ما المطلوب مني فعله خلال هذا الأسبوع؟ "

"المطلوب منك لم يتغير، عدا أنك لن تلتقي بالمراسل "

"أنا لن ألتقي بأحد، أنت تعرف، روكسي مغلقة "

"مغلقة؟! ولماذا؟! "

"مديرية التموين أغلقت روكسي لأسبوع كامل "

"أنت غير متأكد طبعاً " حدق فيه المنسق غير مصدق.

"لقد رأيت المخالفة بعينيّ هاتين "

"متى؟ "

"البارحة ليلاً "

"الأجهزة بدأت تحركها" خبط المنسق بقبضته على الطاولة "يجـــب أن نحتجز جولييت فوراً وبأي ثمن " ورمقه بغيظ " هذا إذا لم يكونوا يحققـــون معها الآن" نهض قائلاً بعصبية "اذهب"

"هل أعود غداً؟ "

"إذا مرت الليلة عليك بسلام "

Abu Abdo Albagl

٠١٥ ج/٣

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

وطوال الليل لم يغمض له جفن.

هذه العبارة التي كتبها مراراً في قصصه، واصفاً بها سهاد ليلة طويلة جفا فيها النوم عيون أبطاله، انطبقت عليه بأرق دام ليلة أطول وأشد وطأة ولأسباب لا تمت للغرام بصلة، وإنما الخوف من أن يقضي عليه التنافس بين الأجهزة والداخلية. الأجهزة، ويعلم الله أيها؟! لن تفتقد الوسائل لإثبات أية تهمة. والداخلية، لن تعدمها الحيلة للتخلي عنه. سيقضى عليه وعلى مستقبله وأحلامه بالكتابة قضاء مبرماً. أليس على مؤلف يكتب قصصا اجتماعية انتقادية ذات مغزى هادف، التحلي بالفضيلة قبل رفع لوائها، وأن يتخذ موقفاً هجومياً، وليس دفاعياً، ضد المجتمع الغاشم والتقاليد البالية؟! كل هذا سيذهب أدراج الرياح، في حال لم يتمكن من نفي اتهامات شنيعة. وهل يستطيع؟! إنها، من سخف عدم تبصره، تبدو موثوقة لا تحتاج إلى دليل إضافي. من سيعرف أن الرذيلة المزعومة لم تكن إلا ضرورات عمل، والتروة الجنسية ليست إلا عارضاً ألمَّ به؟!

عدا، قبل هذا وذاك، ستدمر علاقته الطيبة والوليدة مع جيهان. ما الذي ستقوله عن المؤلف العصري الموهوب، عديم الأخلاق، المؤلف الناشئ، عديم الذوق ... الذي استعاض عن محراب الأدب وآلهة الأدب بمومس سافلة من خمارة؟!

على أن المنسق، وبضربة واحدة، أطاح بتكهنات الليل العاصفة.

" لقد تداركنا الأمور، اطمئن "

دهمه الأمان كنعمة سماوية، وكاد أن يغطس في النوم هانئاً على ترنيمة كانت أقرب إلى موسيقا ملائكية، موسيقا ذات أجنحة بيضاء، تهادى معها في مهب النسيم، وإلى جواره المنسق يشكل مشهداً هو طرف فيه، ذلك أنه اتصل بجولييت وأقنعها برواية أخلاقية تحوي كل معاني الشهامة والتعفف.

" ... ستشهد بأنها رجتك حمايتها من رجل كان يضايقها، وخافت أن يتعقبها بعد مبارحتها روكسي، وبالطبع، تطوعت بتوصيلها إلى بيتها، دعتك للدخول لكنك اعتذرت و لم تدخل، تذكر لم تدخل. من جهة ثانية، الأجهزة لا ضلع لها بما يجري، إغلاق روكسي كان بسبب مخالفة تموينية فعلية، وسنحاول من جهتنا إعادة فتحها خلال يومين أو أقل "

من ذلك المشهد الهانئ والموسق بالنعاس، استعاد روكسي كمحض قصة فاته التفكير فيها ليلاً، والآن، وقد باتت على قاب يومين أو أدنى، على مسافة تسمح له أن يشهر عليها مبضع النقد، لتبدو له بعد وسن خفيف وتأمل طفيف، ليست ممتعة ولا جذابة، وغير مأمونة، معرضاً فيها للاعتقال في أية لحظة من قبل عديد من المنافسين غير المعروفين ومن جراء هفوة تافهة، وقبل أن يتمكن المنسق من التدخل. عدا هذا، وبلا ريب، قصة تفتقر إلى الإقناع، شيدت على أساس رخو من المعلومات، شبكة لا يعلم أحد عنها شيئاً سوى انها تعرّض أمن المجتمع للخطر، تعمل الداخلية على تضخيمها من خلال تقصيات تتعقب حركات لا على التعيين. ما الذي يدور في روكسي ولا يدور في غيرها؟! لم يتلمح شبكة ولا مشبوهين، بل ... الداخلية والأجهزة تجهدان في بؤرة صغيرة تضيق بهما، ينشطان داخلها بفعالية ملحوظة إلى الحد الذي يجعلان منها مكاناً مريباً بتواجدهما متسابقين فيها، مجندين موظفين وعناصر في منتهى الكفاءة، مع دهاء بوليسي وشطارات مخابراتية، يقوم على التخطيط لهما دهاقنة الداخلية وعتاة المخابرات. ما الواقعية في هذا؟! الواقعية هي في تسخيف جهود لا طائل من ورائها.

" اسمح لي أيها الرفيق المنسق، أن أصارحك بخلاصة تحرياتي بصدق ودون مواربة. لا شك أن روكسي حانة مشبوهة، لكن ليس بالحجم الذي تتصوره، إنها مكان قذر، معتم، يتعفن فيه أصحاب سوابق بليدين لا يرجى منهم نفع ولا يخشى منهم ضر، وإذا كان الخمر يشد من قواهم قليلاً، فالقيل والقال وللغناء والصراخ، حتى ينطفئوا. حبذا لو أن الداخلية تصلح خطأها، وتدفع بسخاء لمخبريها، وعلى التأكيد سيصدقوها الخبر عن روكسي "

" إذا كنا نحن نهول من روكسي، فماذا عنهم؟! "

" الأجهزة؟! أنت تعرف، أنهم دائماً ما يكونون متواجدين في كل مكان، دونما موجب وبلا أي مبرر"

وحسب أنه أفحمه. رشقه المنسق بنظرة استخفاف، وأخرج من المصنف ورقة دفعها إليه. "اقرأها "

كانت قائمة بأسماء أشخاص كانوا معروفين، يربو عددهم على الأربعين، يجمعهم أنهم مارسوا وظائفهم في عهود سابقة. اسم واحد لفت نظره، وأخذ يتهجاه حرفاً حرفاً قريبه عدنان لطفي !!

" ما علاقتهم بروكسي؟! " سأل مخفياً قلقه.

استل المنسق من العلبة المعدنية سيكاراً ضخماً أشعله، وبدأ استعراض الأصابع المشدودة والمعقوفة وأمواج الدخان وخيوطها.

"هذه القائمة سقطت من رجل يرتاد روكسي، عثرنا عليها مصادفة، الشخص لم نعرفه، ما هو واضح، أنه مرسل من قبل أطراف خارجية للاتصال برجال القائمة. أخبارنا تؤكد أن الاتصالات جارية بينهم منذ زمن ليس بالبعيد، وهم يدبرون شيئاً أعتقد أنه بات جلياً لك. تمعّن في القائمة، ما الذي تتبينه؟ "

أطرق برأسه، فكر. كان كل شيء واضحاً.

" إنهم أشخاص كانت لهم نشاطات سياسية في الماضي، أما الآن،

وللحقيقة، لا يملكون من أمرهم شيئاً، ولا يستطيعون فعل شيء "

" أهي مجرد إحصاء للمغضوب عليهم؟ " تساءل المنسق ساخراً.

" بالضبط " عقب بجد.

" إن وجودهم في قائمة واحدة دليل على اشتراكهم بعمل واحـــد. استغرب، ألم تلاحظ هذا حتى الآن؟! " قال المنسق بترق.

بالطبع لاحظ، المنسق يريد تلفيق شبكة سياسية ومؤامرة سياســية، يدحضها دليل قاطع، شخص عدنان بك لطفي، لولا وجود اسمه، لركّب شيئاً معقولاً من هذا الفتات. لم يرد مناقشة المنسق، بل أن يتخلص مـــن افتراض غث.

" أرجو أن تعفيني من المهمة " ووضع القائمة على الطاولة.

" لماذا؟! " سأله المنسق بلطف.

" أخشى ألا أنفذها بالأمانة المطلوبة، عدنان لطفي قريبي "

" نحن نعرف، كان هذا سبباً في ترشيحك واختيارك "

" إذاً هل تعرفون مثلاً، أنه ولي نعمتي، ولولاه لما كنت موظفـــاً ولا حزت على الشهادة الجامعية أو الثانوية؟ "

" نعرف هذا وأكثر "

"ويعتبرني كابن له "

" حسناً إنه يثق بك، والأمانة أن تكون أميناً في عملك، لا تنســـى أنك تعمل في الدولة وفي الداخلية، وفي مهمة وطنية "

لم يتراجع أمام المنسق الذي استثمر القرابة والثقة والأمانة والوطن.

"إن عقلي وضميري جازمان ببراءته " رد بحزم.

كان الدخان قد سهّل عليه الاستنكاف بحسم عن دناءة خيانية، ومهمـة لم يعد مفروغاً منها. فيما كان المنسق الذي أمطره بوابل من الدخـــان قـــد تلفع بصمت حاد، خلاله : أصبحا على عتبة منظر ادلهم، وزوبعة حطـــت

بينهما، ضربتهما أطرافها، الطاولة والكراسي تبرم في أماكنها، الأوراق تتطاير، تلتصق على جسده، وتغلف المنسق من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، تكفنه ببياض مزرق. طرف الزوبعة المدبب يحفر في الأرض حفرة واسعة وعميقة، تشفط الأشياء وتلقي بها في داخلها. حل دورهما، يصطدم بالمنسق، يتلاصقان، يتحلزنان، وقبل أن تبتلعهما الحفرة، أحس أنهما سيتناثران عاجلاً إلى قطع غيار غير صالحة للاستعمال.

قد يكون رنين الجرس، أو خبط على الباب، هو الذي أخمد الزوبعة فجأة، وأحاله إلى فوضى إيمائية، أخذت تلملم أشلاءها بسكون سرَّب صوت أزيز الباب ووقع أقدام. ظن أن الرجل الضالع استأنف ظهوره، كابحاً جماح الزوبعة، ريثما يرسل أخرى.

لكن، كان المراسل المعاقب والموقوف عن العمل، يندفع متدحرجاً بجسده، يسلم المنسق مظروفاً صغيراً بحجم قبضة اليد، ثم يتدحرج خارجاً دون أن يلقي عليه بنظرة. المنسق يمزق المظروف بعصبية، يسحب منه ورقة، يفرأها، يقلب شفته مستغرباً، يرفع الورقة عالياً، يلوح له بها.

"برقية سرية محمولة باليد " رماها إليه " مذ وقع بصري على المراسل تطيرت من الأمر الذي استدعى إيقاف عقوبته"

أمسك بالبرقية، قرأ عدة كلمات وحرفاً ورقماً. قال.

" لم أفهم !! "

"ما الذي لم تفهمه؟ ! "

"حرف ج، ولماذا رقم ٣؟! "

"إنها رموز، ج يقصد بها الأجهزة، أما رقم ٣ فهو واحد من الأجهزة، لقد باتت مفهومة "

كانت البرقية تحتوي على عدة فقرات تخاطب الرفيق المنسق.

- تصحيحاً لم أبلغناك إياه، ج/٣ أغلقت روكسي تحت غطاء مخالفة تموينية وسيجددون إغلاقها حتى إشعار آخر.

ـــ قل لرجلك أن يحترس من المطرب، نعتقد أنه يعمل لـــ ج/ ٣.

ـــ هل من الضروري احتجاز جولييت ثانية؟ ج/٣ سوف تعتقلـــها قريباً، على كل حال هذا أمر متروك تقديره لك. تصرف بشيء مـــا إذا لم ترد التضحية برجلك.

"هل ستضحي بي؟ "

"هذا عائد إليك "

"ماذا لو قبضت ج/٣ على جولييت؟ "

"لن تصمد بين أيديهم أكثر من دقائق معدودات "

"ألن تتصرف بشيء؟! "

"حاول أن تتصرف أنت، حاول ... هذا أفضل لك "

"ما هو الأفضل؟ ! "

"أقنع جولييت بأن لا تغير شهادتها "

"أنا؟! ومن أكون بالقياس إليهم؟! "

رفع المنسق القائمة نحوه، كان يقول شيئاً، شيئاً لم يســـمعه، كـــان يسمع صداه يملأ المكان، بذلك الجرش المحطم للأعصاب. كانت حياتـــه وأحلامه وطموحاته محل مساومة، رهن ابتسامة ماكرة وحركة تافهة مـــن إصبعي المنسق،. تناول القائمة من المنسق صاغراً.

"ما الذي ستفعلونه؟ "

"سنسبقهم إليها "

١٦ . منطق تطور الأحداث

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

انكب على القائمة يتفحص محتوياتها بدقة، أسماء عفى عليها الزمن تنبعث من النسيان، وزراء ونواب وحزبيون وموظفون كبار وصحفيون، كانوا معروفين، قرأ عنهم في الجرائد وسمع عنهم في نشرات الأخبار، إلى أن أبعدتهم الثورة منذ زمن بعيد عن العمل السياسي باعتقالهم أو بوضعهم تحت الإقامة الجبرية.

إذا كانوا ما يزالون على قيد الحياة، ولكل منهم دور، فلا شك أن في ظهورهم معاً إشارة استفهام كبيرة، وفي عودتهم مؤامرة واسعة النطاق ظاهرة للعيان، ويشكلون بتنوعهم المتكامل جسم دولة رهن التشاور والإعداد وقيد الإعلان، جاهزة بمقوماتها الحيوية كي تحل محل الدولة القائمة : وزارة من الوجوه البارزة واللامعة، مجلس نواب من أحزاب متعددة، طاقم من موظفي الصفوف الأولى، صحافة غير مقيدة، وصحفيون أحرار يشيدون بالدولة الجديدة.

قصة كبيرة، ناضجة، ومكتملة أكثر مما ينبغي، ترسم منطق تطور أحداثها: الأطراف الخارجية الأجنبية المتمركز نشاطها في بيروت أو عمان، أرسلت عميلاً لها إلى دمشق للاتصال بشخصيات القائمة، هذا العميل لن يقيم في فنادق الدرجة الممتازة، أو يرتاد المطاعم الفخمة، وإنما الأماكن التي لا تلفت الأنظار، فنادق من الدرجة الرابعة والخامسة، مطاعم ومقاهي وخمارات شعبية، تستدعي شبهة الخروج على القانون لا نظام الدولة. روكسي مكان ملائم، كما أن المطرب الغامض بمظهره الملون اللاهي والعابث، هو رجل جهاز ما أو العميل المناسب للجهات الأجنبية. وسواء كان هذا أم هذا، فإن العميل كائناً من كان، اتصل بعدنان بك ووعده بمنصب ما لقاء القبول

بالمشاركة.

والقصة تنمو بعناية، جاء دوره: هنا، يجب عليه التدخل بدهاء ومهارة ويقنع عدنان بك بالتعاون معه، بتسليم معلوماته إلى الداخلية. الموقف سيكون صعباً، عدنان بك سيتردد، ثم سيرفض، بيد أنه إذا أدرك أن أمره وأمر جماعته قد انكشف، فسوف ينهار مستسلماً. لكن وهو الأرجح، أنه سينكر، وقد يكون إنكاره صادقاً، ففي الحالين، لن يقبل بخيانة رفاقه، وربما أودى به عدنان بك إلى موقف محرج جداً، فيما لو طلب منه التستر عليه وعلى المؤامرة. هل بوسعه الرفض؟!

كانت القصة التي مضت بيسر قد تعثرت بين واجبين، الوظيفي والقرابة. واجبه الوظيفي يملي عليه عدم مراعاة أية صلة مهما كانت أواصرها شديدة، بل المضي قدماً في أداء مهمته، واجبه إزاء عدنان بك، ليس واجباً أو اعترافاً بفضل، عدنان بك كان الأب والمرشد والناصح، لقاء لا مقابل. بماذا يكافئه عندما أسعفته الظروف؟! ما الذي يقدمه إلى الرجل العجوز الذي منحه حدباً صافياً؟! ما يحسه تجاهه، عاطفة صادقة، تملي عليه إنقاذه وحمايته لا رد جميله بخسة ولؤم.

لكن، لا، الموقف ليس اختياراً خالصاً، ولا بالسهولة التي يتصورها (إما ... أو) هناك جولييت، وموقف لا نجاة منه إلاّ بـ ...

أوقف القصة عند عقدة تعقدت جداً، في منعطف شاق وخطر، لا يسمح بالتقدم ولا بالتراجع، وهامش لا يسمح فيه الوقت بالتريث ولا بالمناورة ... اتصالات المتآمرين قطعت أشواطاً، التنافس مع الأجهزة على أشده، المنسق يطالبه بتحرك عاجل وبتقرير دامغ، في حين أي حل يفكر به يحبطه.

ما الذي يصح التهاون فيه أو التنازل عنه أو التغاضي ... أو حتى النسيان؟! وكأنما الجواب ليس إلا إلهاماً ما سيأتيه دونما تفكير، ويجعله يتحكم بتفكيك عقدة قبل أن تتفجر فيه وتمزقه إلى عقد صغيرة، صراع احتدم وأوصد، لن يفهمه أحد بعمق وإخلاص سوى جيهان.

سألته جيهان عما به، وتابعت حديثها عن قصتها التي أنهـــت كتابتـــها صباحاً، وكانت عبارة عن صراع لم يكن حاداً بين العقل والعاطفة. قـــالت، إنها ستعيد كتابتها وتجعل الصراع أكثر حدة، وسوف تحسمه لصالح العقل.

تنبهت إلى أنه ما زال شارداً عنها، وتذكرت أنها قبل قليل سألته عما بـــه ولم يجب.

"ما بالك؟!" كررت سؤالها.

" أتعبتني القصة التي أكتبها، بطلها متحير، يتنازعه واجبان، أيهما أختـــار سيدفع ثمنه دماراً يحيق به"

من صوته المختلج وكلماته المعصورة بحرارة، تلمحت صراعاً مشـــابهاً. لم يخفاها أن قصته المضطربة والمتعبة ليست أفكاراً محمومة في المخيلة أو علـى الورق، وإنما واقعة حقيقة لا علاقة لها بالإبداع، واقعة هو بطلها، وأقـــرب إلى قصتها، رغم التبادل في المواقع، والتمزق الظاهر على ملامحه يكشف عـن رخاوة عاطفية ستكون لميوعتها وزناً ثقيلاً في هذا الصراع. بالطبع، وعلـــى الأغلب، أنه يعشق امرأة هي زوجة صديق لـــه، وازع الصداقـــة يردعـــه، والحب الذي يشده إليها يعميه، وهو للأسف لا يدري أنه لا تكافؤ بينـــهما، وعلى محك الواقع لا داعي للمفاضلة بينهما.

"صديق؟!" سألته.

"أكثر من صديق "

لا، لم يكذب حدسها، دائماً ما تكون العلاقات الحميمة جداً، هي الـــتي تتسامح بل وتشجع صداقة حميمة مع الزوجة، تتداعى إلى غرام لاهب.

شاءت أن تصيبه برد قاطع وفي الهدف تماماً.

"الحب ليس واجباً إنه خلل في العقل، هذا الصـــراع الـــذي تعانيـــه وتشكو منه وهم قـــتّال، واجبك الوحيد تجاه صديقك أن تقطع علاقتـــك بها "

"علاقتي بها؟! هي ليست ... !! "

" الصداقة أهم من الحب" قاطعته قبل أن يراوغ "الصداقة تدوم " وتحدد خياراً لا بديل عنه " أما ما تظنه حباً فلا . . . "

أي خليط هذا، وأي خلط بين الداخلية والصديق المختلق برمته، وعدنان بك وامرأة على مايبدو أنه على علاقة بها، في قالب نصيحة مغرضة، محضته إياها مثقلة بالشوائب، ومشوهة للأشخاص والوقائع، وكأقسى ما تكون، معرِّضة به، مزدرية الحب والعواطف، ممتثلة لقصصها ومواعظها، منقادة لما يتراءى لها، وتقوده إلى لبسٌ في غير مكانه وغير صحيح.

أيضاً، كأنه، لبسٌ في مكانه وصحيح . . . لن يضرب بعواطفه عرض الحائط ويسلم عدنان بك إلى الداخلية.

" إنه أمر يفوق طاقتي، ولن أقدم عليه " رد ببرود.

يتباهى!! بدلاً من الندم وإن كان تمثيلاً، أو محاولة للتنصل وإن كانت كاذبة، وإنما وقاحة منقطعة النظير تقطع الشك باليقين.

"ما تدعوه بالحب، ليس إلا غريزة بهيمية " عقبت باحتقار.

تستقيم معتدة بتقززها، مزهوة بقرفها تتماهى والشرر يكهرب نظراتها مع أفضل حالاتها ممزقة الثياب، عارية، معاقبة، ومستسلمة لكل ما تأنف منه.

"تطلبين أمراً مستحيلاً لا قدرة لي عليه" أكد باستهزاء.

"أأنت مصرّ؟! " صرخت غير مصدقة.

"أنا لا أريد " قالها كأمر منته منه.

ملحقاً بها الهزيمة، والإهانة، الإهانة التي تستحقها.

"لا تريني وجهك ثانية " هتفت بصوت مرتجف.

ولت وجهها عنه.

خرج إلى الليل، ما زال الليل في أوله.

١٧ . نشوة الأعماق

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

لم يكن عدنان بك منصرفاً عنه كلية، مع أنه كان مشدوداً إلى شاشة التلفزيون يتابع برنامجاً عن عجائب أعماق البحار، وفي الوقت نفسه كان يصغي إليه.

"كم هي حافلة بالحياة !!"

أطلق عدنان بك جملته متعجباً، ثم التفت إليه مستفهماً.

"هل قلت بأنهم أوقفوا عملك في الأرشيف؟"

صخور مكسوة بأجمات من الطحالب الخضراء.

"و لم تعد إلى مديرية التربية !! "

كتل اسفنجية وأسراب هائلة من السمك الملون، تنساب

"عمل آخر؟! "

وتمرق كالسهم.

"في الداخلية أيضاً !! "

عالم الأعماق غارق في صمته، ماء صافٍ بللوري. عندئذٍ انتهز الفرصة ورمى لعدنان بك بطعم.

"اسندوا لي عملاً ضمن مجموعة مهمتها اكتشاف المؤامرات الخارجية وملاحقتها داخل البلد "

"لقد رقوك "

"ضربة حظ "

"قلت لك، الداخلية ستفتح لك أبوابها "

"أبوابها السرية، المجموعة سرية تماماً "

عدنان بك لم يستفسر، كانت السفن الغارقة في المحيط قد استأثرت بانتباهه هياكل عظمية بشرية، أسلحة صدئة، معدات، صناديق مقفلة، كنوز، وخطر وشيك ... سمك القرش الأبيض: فك في غاية الضخامة، يحتوي على أسنان يتراوح عددها بين العشرين وعدة مئات، أنف مفرط الحساسية يشم رائحة الدم من مسافات بعيدة، يبحث عن فريسة يفتك بها، ويلتهم اللحم البشري، ومن الحماقة استثارة سمك القرش حتى لو كان من الأصناف البليدة والمسالمة.

"الداخلية صنف شرس" علق محاولاً جلب اهتمام عدنان بك إلى الأخطار الخارجية، لكن التشبيه المقحم لم يحرك شيئاً.

"نحن في سبيلنا إلى الكشف عن مؤامرة كبيرة "

"من يفكر في مؤامرة؟!" طفا صوت عدنان بك منتشياً من المحيط الذي غاص فيه. كان لإجابته اللامبالية تعليل على الشاشة، نشوة الأعماق، حالة من الثمالة، تعتري الغواص، وهي ليست إلا تسمماً بالآزوت. انتابت عدنان بك أعراضها اللذيذة، وغفل عن أعراضها الوخيمة، طنين في الرأس ومرارة في الفم.

"شبكة تعرف الداخلية جميع المشاركين فيها" استحثه قبل أن تأتي عليه نتائجه المميتة.

وإذ لم يحظ بإجابة أو حتى بتعبير قلق، أدرك أن عليه انتشاله من تلميحات الأعماق التي لا تفيد إلى يابسة الأخطار الحقيقة.

" إنهم تحت قبضتنا، قريباً جداً سيجري اعتقالهم فرداً فرداً"

وكأن عدنان بك الذي تظاهر بالصمم إنما كان يشنف أذنيه. إذاً، فليعاجله.

"أنا قادر على إنقاذ أي واحد منهم"

ولا من مجيب. أهو لا يسمعه، أم أن المؤامرة لا تعنيه؟!

والوقت يدهمه، لم يعد هناك مجال لشيء سوى إبلاغه بصوت عـــالٍ، أن التحايل والتصامم لا جدوى منهما.

التفت نحوه وفاجأه، لكن كان عدنان بك قد ادخر له مفاجأة أيضـــاً، كان مغمض العينين، رأسه يكاد يسقط على صدره، وإذ تنبـــــه، ترنـــح، ورفع رأسه بتثاقل، وفتح عينيه بصعوبة، نظر إليه، وأشار إلى التلفزيون.

"إنه يساعدني على الاسترخاء "

وعاد إلى عالم البحار، عيناه تنوصان، فاتحاً فمه، سابحاً برفق، يغمـــض عينيه، رأسه يتمايل ويسقط على صدره، نائماً دون هلع، وعلى التحديـــد دونما مؤامرة أو اتصالات مريبة، وعلى الأصح، عجـــوز خـــالي البـــال، تثاءب، فغلبه النعاس، وأخذه السبات. البرنامج المشوق أعـــــده للنـــوم، والمؤامرة المؤرقة غير مؤرقة، وشخيره المتشحط يبطل مزاعم المنسق.

وكأن نشوة الأعماق، أصابته عدواها، دونما مرارة في الفم، أو طنـــين في الرأس، يطوي الرصيف، نازلاً صوب ساحة عرنوس، متحررا من إدانـــة عدنان بك مستبشراً، خدر لذيذ، الصالحية تهوم من بعيد.

ابتعد مفسحاً الرصيف لرجل يزاحمه، تمهل في سيره، لكـــن الرجـــل تمهل أيضاً، ودفعه بكتفه إلى واجهة دكان، ثم تجاوزه بعدة خطوات وارتـــد إليه مسدداً شيئاً إلى وجهه. لم ير وجه الرجل وقد انفردت أمـــام عينيـــه مروحة من أوراق اليانصيب الملونة، وصوت أخن.

"السحب بكره" كما لو أنه المراسل

تميزه في اللحظة التي انكشفت أوراق اليانصيب عن الوجه الطفـــــح والشعر المزيت، والفم المفتوح على وسعه عن ابتسامة بشعة.

"اشتر نمرة أستاذ " جعر المراسل. امتعض من رؤيته، تصرف بهـــدوء أخرج المحفظة، سحب ورقة بخمس ليرات، ناولها له دونما كلمة، تلقاهـــا المراسل وأخفاها في جيبه بلمح البصر.

"ما معي فراطة أستاذ، خذ نمرتين "

كان المراسل قد عاد إلى العمل أكثر جشعاً وغلاظة، أعطاه ورقتي يانصيب وانتهت تمثيلية البيع والشراء.

"ما الذي تريده؟" قال مستعجلاً المراسل.

"متى يكون التقرير جاهز؟ "

"ليس هناك تقرير، هناك ما أريد قوله للمنسق، لا بد لي من مقابلته بأسرع وقت"

"لن يقابلك، أبلغني بما تريده منه، المنسق منحني صلاحية التكلم باسمه، انتبه، لن أرفع للمنسق أي تقرير إلا بعد تنقيحه، يجب أن يفي بالغرض، أنا لن أقبل بتقرير مهلهل، استشرني قبل كتابته"

"مستشار أيضاً!! لم يقل لي هذا!!"

"أنا أقوله لك "

لاحظ أن ملامح المراسل أخذت تشي بملامح المنسق، وهو يعبس بجد وينفخ صدره، يصطنع أهمية مبالغاً فيها. راودته نفسه أن يصفعه على وجهه صفعة قوية تنفض عنه ملامح ليست له. حافظ على هدوءه.

"عدنان لطفي لا علاقة له بأفراد القائمة رأيي ألا نضيع وقتنا معه، المحاولة مع غيره أجدى"

"لا" صرخ المراسل " إنه أخطرهم، الدليل موجود، ليس من مهمتك البحث عنه، أضف بعض الأدلة الثانوية، اكتبها فقط" كان يأمره بكل جلاء.

"هل هذا اقتراحك؟" تساءل بترو.

"وما الفارق؟!" رد المراسل بعنجهية تليق بالمنسق.

"الفارق، أنه ليس لدي جديد، بوسعك الاكتفاء بالدليل الذي بحوزتك"

"قريبك مدان، مدان تماماً"

"ما هو الدليل؟! "

"في الوقت الحاضر لن نطلعك عليه"

"إذاً لن أستطيع التقدم في مهمتي خطوة واحدة "

"لمعلوماتك، وحسب آلية العمل الجديدة، مهمتك أن تسعفني بأفكار، بكثير من الأفكار، وأنا أعمل على تصفيتها وأقرر أي منها أرفعه للمنسق، في الحقيقة أنا مستشار، أنت لم تخطئ التعبير"

لم يكن المراسل وهو يهرف، سوى أنه أضاع رشده بهذا المنصب الجديد الذي تقلده وترهل عليه فوراً.

"قل للمنسق، إذا لم يرد مقابلتي، فعليه أن يزودك بإجابات عن أسئلتي"

"أنت لن تسأل، أنا الذي أسأل فقط"

أحس باختناق، المراسل الذي ترقى إلى مرتبة مستشار واصل ترقيه، وأخذ دور المنسق في حين لم ينسجم حتى مع هيئة بائع أوراق يانصيب متطفل.

"لا تكلمني بهذه الطريقة" ونغزه بشدة في كتفه.

"إياك أن تستعمل القوة معي، أعرف أنك كنت منتسباً إلى نادي الزول الرياضي، لكنك لن تستطيع تهديدي "

"لا تستفزني" أمسكه من ياقة قميصه وشده نحوه "هل تفهم؟"

"افهم أنت" نبر المراسل بتحدٍ "إن جولييت ..."

لم يدعه يكمل، قبض على معصم المراسل، وباليد الأخرى أمسك بأذنه وجره نحو الحائط، فرك له أذنه وهو يهمس فيها مغتاظاً.

"أنت الذي ورطتني بجولييت"

"ستخلع لي أذني" هتف المراسل وهو يكاد أن يبكي.

أفلت له معصمه، رفع له رأسه وصفعه على وجهه، وبجماع كفيه دفعه عنه، رجع المراسل مصطدماً بالحائط، محتقن الوجه، مذعوراً، وارتفع

صوته متهتهاً.

"لدينا شهادتان لجولييت الأولى كاذبة وتنقذك، أما الثانية فصحيحة، هل تعرف ما معنى صحيحة؟! "

لم يلتفت إليه، تابع طريقه، لكن المراسل لحق به وهو يبربر بصوت عال، بدا وكأنه سيلاحقه بعوائه في طريق الصالحية، ارتد إليه، واندفع نحوه، رفع المراسل يديه محتمياً بهما، لم يضربه، انتزع من يده أوراق اليانصيب، ورماها عالياً، الأوراق تتطاير، تحط وسط الشارع بين السيارات وعلى الرصيف وفوق رؤوس المارة، قفز المراسل جاحظ العينين، صارخاً، وقرفص على الأرض يلملم أوراق اليانصيب.

يتعرج في الزحام ساخطاً ... لماذا لم يبطش به ويرسله إلى المنسق مهمشاً؟! وليفعل ما شاء له. مشحوناً بغضبه، أضواء تعج، وشوشات تجعجع، تغيب المرئيات. زعيق ... ويد تقبض على ساعده وتشده إلى الخلف.

زعيق مديد. صحا على بعد سنتيمترات من مقدمة سيارة انفتح بابها على السائق الذي كان يصرخ مهتاجاً في وجهه. نظر إلى موقع قدميه وإلى عجلات السيارة وإلى الإسفلت، رقعة الإسفلت الفاصلة!! فوقها، كاد جسده أن يكون طريحاً وصريعاً. التفت إلى الرجل الممسك بذراعه، بهت، كان الرجل الضالع.

أنزل الرجل الضالع يده، وابتعد قليلاً، بات على بعد خطوتين، على وجهه مسحة كتيمة من تعبير صلب، يتماوج على صفحة الهواء أو في غبش عينيه، في مشهد باغته و لم يستوعبه بعد، وبلغ أقصاه خلال لحظات. أطرافه ترتخي، شرايين رقبته تنتبج إرهاصات فات أوانها وإغماءة لن تساعده.

زعيق السيارة ما زال يصك مسامعه، صراخ، أضواء، لغط، وربما ما زال على وشك أن تصدمه السيارة في جزء من شرارة لحظة، أخذت تتسع وتتوسع باحتمالات الموت والحياة وهو الآن يختار بينهما.

أم أنه اختار في غفلة منه؟!

لكن، والرجل الضالع لم يبرح مكانه، أيقن، أنه هو الذي انتزعه من وسط الشارع من براثن الموت إلى حافة الرصيف، وأن الرجل الضالع ليس عابر سبيل و لم ترمه المصادفة، وبوسعه أيضاً أن يكون أحدهما وليس بوسعه أيضاً إلا أن يرمي به إلى براثن الحياة.

هل كان الرجل الضالع مكلفاً بمهمة؟!

أم أن أحداً يدخر لهما أعباء ومهمات؟!

ولأول مرة، على مقربة منه في مكان مفتوح على مفترق طرق، يراه بهذا الجلاء، ويرى نفسه بكل وضوح لافظاً أنفاسه أو مديناً له بحياته، ويرى نفسه بينهما ساهياً عنهما، غير عابىء بهما.

الضجيج ينكتم، الأضواء تخبو، يترل عن الرصيف. وكأن السكون تأطير لمشهد بدأ يشف زخماً ومشروخاً كل إلى طرف، السيارة مندفعة، وهو مندفع، وكلاهما لا يلويان على شيء، الاصطدام المميت لم يحدث بعد، ولا يمكن لإنسان أن يحول بينهما. ماعداه.

"شكراً لك " نبس بحذر.

Abu Abdo Albagl

١٨. لقاء سخي

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

تقبل الرجل الضالع شكره بتمتمة غير مسموعة وتحديقة عميقة، وانبرم قاطعاً الطريق بسرعة. وقبل أن يغيب عن عينيه في الزحام، تبلدر إلى ذهنه أنه إذا أفلته الآن فقد أفلته إلى الأبد، واقتفاه قاطعاً الشارع خلفه.

كان الرجل الضالع قد توغل في الصالحية بخطوات واسعة، يخرق الزحام، يتضاءل فيه، يتوارى، ثم يبرز أمام بائع أزهار أو واجهة أزياء أو بسطة ألعاب، وكلما اقترب منه حجبته عنه كوكبة من البشر، يختفي فيها، ويفاجئه بعد قليل على بعد أمتار، وكأنه يقفز قفزاً من اليمين إلى اليسار. يجري وراءه، الرجل الضالع يزيد من سرعته، وهو من خلفه لا يلتقط أنفاسه، يصطدم بالمارة وهم يفسحون له ممراً وينتهرونه، كاد أكثر من مرة أن يقلع عن تعقبه و لم يفلح، كان وقد مغنطه لا يتهرب منه عمداً، وإنما يقوده بعيداً، وإذ لم يعد يراه أيقن أن الرجل الضالع اختبأ والملاحقة باتت تسلية متعبة، تلفت باحثاً عنه، لكنه لم يظهر، وكأنما كان يتأثر لا أحد.

هذا اللأحد الذي أضاعه على مقربة من بائع العصير، رآه أخيراً في شارع العابد، وهو يترك رصيف مقهى الروضة إلى الرصيف المقابل، داخلاً في زقاق جانبي. لحق به، وبأقصى سرعة، إلى الدخلة، هناك كان ينتظره، مراوحاً في مكانه أمام المطعم الصحي، مروحاً عن نفسه أمام سيخ الشاورمة، يتنشق أبخرة اللحم والدهن. أبطأ خطواته، اقترب منه، حاذاه، التقت عيونهما، تحجرت نظراتهما، وتصاعدت أنفاسها متصدعة من التعب.

" أخيراً التقينا " قال له لاهثاً.

" أخيراً سنتحدث " رد عليه الرجل الضالع لاهثاً.

ولم يتحدثا، أسلما نفسيهما لأنفاسهما المضطربة وللهواء الساخن. استرق النظر إليه، كانت قد طرأت على الرجل الضالع تبدلات مذ هبط عليه في صومعته مريضاً، أما الآن فيبدو معافى وبصحة جيدة، يتقصد وقد انتظمت أنفاسه أن يكون هادئاً وطبيعياً وهو يبتسم في وجهه ويسأله :

"هل أنت جائع؟ "

" لا "

" أنا جائع "

التفت الرجل الضالع إلى عامل الشاورما وطلب منه سندويشة، تناولها، تنحى جانباً وأخذ يأكلها بهينة إلى أن أتى عليها بكاملها، كانت شهيته مفتوحة، ثم استأذنه، دخل المطعم، غسل يديه، خرج وهو ينشفهما بمنديل، وضع يديه في جيبي بنطاله وتمشى.

لم يفته أن الرجل الضالع تعمد أن يبدو محسوساً داخل معضلة لن تحسمها سندويشة شاورما، لكنه مع هذا نجح وأصبح حقيقياً، وحقق طفرة بانتقاله من وهم محض إلى رجل حي ملموس في زقاق محلاته مفتوحة، يضج بالعابرين، ومطعم وزبائن وقطط ورائحة شواء أيضاً، لم يعد واثقاً من أنه كان هو بالذات ذلك الذي تعرف عليه في تلك الزيارات واللقاءات الخاطفة والمبتسرة، وربما لم تكن، أما هذا، فقبل قليل تكلم وأكل، والآن، يبرهن وجوده، ليس مجرد وجوده، وإنما وجوده الملح والعنيد، إلى أنه ليس اعتباطياً، وإنما مستمر، بل ومشرع أيضاً على احتمالات ومفاجآت غير متوقعة تتجاوز سويعاتهما الماضية والخالية، بكل تخيلاتها وخيالاتها، وتبدو بالقياس إلى الآن، مختلسة، وتؤكد أن الرجل الضالع، لم يعد أو على الأصح، لم يكن تخيلاً.

"أنا ممتن لك" قال للرجل الضالع.

"لا تقل أنك لاحقتني من ساحة عرنوس إلى هنا كي تشكرني ثانيـــة، لا تهتم، اقلب صفحة، كان يوماً عصيباً، فلنتكلـــم عـــن الأمـــور الـــتي تشغلك".

توقع أن يلقي الرجل الضالع بكلمتين، لكن أن يتكلم بهذه الطلاقـــة ودونما توقف، هذا ما عطل أفكاره.

"ما الذي يشغلني؟! "

لم يلحق أن يستدرك كان يجب أن يقول له، ما يشغلني أنت بالذات.

"الكثير، عدنان بك، المنسق، لا تنسى أن السيدة جيهان طردتـــك، وقبل قليل كان المراسل يضايقك "

"هل رأيته؟! "

"كنت على مقربة منكما وساعدته بلملمة أوراق اليـــانصيب، إنـــه رجل مزعج ومسكين"

"مسكين؟!! بل حقير. هل تسمعه، لقد زعم أنه مستشار، يعلـــم الله أي نوع من المستشارين هو، وأي نوع من الاستشارات القذرة تلك الـــتي يقدمها "

"إنه مستشار قصصي، استطاع إقناع المنسق بأنه قـــادر علـــى فـــهم القصص وتوجيهها وتغييرها بإضافة بعض اللمسات...شيء من هذا العبـــث الأدبي، يجب أن ترثي له، إنه مسكين فعلاً، الأفضل أن نتكلم عن ..."

قاطعه قبل أن يتغير مجرى الحديث كلية.

"ما أدراك أن جيهان طردتني؟! "

"إنها حكاية طويلة، أنت في غنى عنها"

"ما الذي تعرفه عنها؟! "

"أعرف أن علاقتك بها أعقد مما تتصور "

"هناك سوء تفاهم بيننا "

"هذا خلاف صغير، ما أقصده شيء آخر، إنك تحبها وتجهل أنت هذا ثم إنك تستهويها وهي تجهل هذا. لا أريد أن أقول المزيد "

الرجل الضالع يدعي أنه يعلم عنهما أكثر مما يعلمان عن نفسيهما، ما الفائدة حتى لو كان ما يدعيه صحيحاً، علاقتهما انتهت، عدا أن قضية عدنان بك هي مأزقه الأول والأخير.

"عدنان بك هو الذي يهمني "

"المشكلة أنك تشك به، مع أنك متأكد أن ماضيه ليس دليلاً يؤخذ به"

"إن تبرئته بحاجة إلى دليل قوي يتعدى بكثير مسألة نومه وشخيره، هناك قضية ضده، لكن ما هي؟! ولماذا؟! أهي مؤامرة فعلاً؟! أم أنهم يقصدون منها شيئاً آخر؟! إذا كانت مؤامرة فهي ملفقة، وفي الوقت نفسه، تبدو وكأنها ترسم نفسها بنفسها، وفي الحالات كلها أنا لا دور لي"

"دورك رئيسي، ليس في أن تحبك عقدة محبوكة، أو أن تؤلف بين شخصيات مؤلف بينها وإنما أن تفبرك وقائع محددة، وتسلسلها إلى نهاية محتومة، أما الأدلة فسوف تأتيك من تلقائها إنها ليست حجر عثرة "

"باستطاعة غيري القيام بهذا العمل "

"أنت المدعو لاقترافه "

"لماذا أنا؟! "

"لنبسِّط الأمور، لأنك تكتب القصص، المطلوب قصة"

"قصة؟! أنا لن أكتبها "

"لنقل، أنك لن تكتب تلك القصة الواضحة جداً التي يريدونها وإنما ستكتب قصة أخرى "

"أخرى ... كيف؟! "

"قصة بديهية جداً "

"هل هذا ممكن؟! "

"المنسق يعول على موهبتك، حسناً أرى أن تستغلها في كتابة قصة مغايرة، تستعمل العناصر نفسها لترتيب وقائع مختلفة. أو قصة أكبر تحتوي القصة المألوفة وتختمها بنهاية غير مألوفة، تفندها إلى هراء لا قيمة له أو ..."

"تتكلم عن معجزة وليس قصة "

"معجزة، فليكن، فكر "

وأخذ يفكر، ذارعاً معه الدخلة، جيئة متعقباً معجزة لم تظهر بوادرها، وذهاباً دون معجزة على الإطلاق.

"لن تظفر بمعجزة" توقف الرجل الضالع "عالجها على أنها أمر مفروغ منه كقصة"

"أين القصة؟! أنا نفسي داخل قصة تمنع أي قصة مخالفة "

"القصص موجودة دائماً وبمتناولنا" ابتسم الرجل الضالع "مثلاً، أنا وأنت قصة. بالطبع، لا أسألك أن تفكر فينا، فكر في القصة التي ستكتبها؟ انغمس فيها كلياً، عليك أن تؤمن بعمق بحقيقة ما، مهما كانت متطرفة أو غير معقولة، أو حتى خيالية وأن تعيد خلقها على أنها الحقيقة نفسها دونما أية ريبة أو تصنع أو زيف، ويجب أن تكون جذابة وممتعة، تذكر دائماً أن الحقيقة جذابة وممتعة وجسورة".

"اقترح عليّ فكرة "

"أنا لا أكتب قصصاً" حدق فيه وكأنه يتهمه "أنت مؤلف قصص"

"ساعدني"

"لقد انتهت جولتنا " وتراجع قليلاً صوب الحائط.

وبات على أهبة الاختفاء.

"لا، لما تنتهي بعد "

لم يكن يستوقفه، وإنما يستوقف تلك الفكرة التي طرأت، بعد سنوات نجحا في تحقيق اتصال مثمر، اتصال متميز سوف يبهت تماماً بتلاشي

الرجل الضالع ـــ كالمعتاد ـــ في الظلال أو في جـــدار (هـــاهو يلتصـــق بالجدار) بعد ذلك، لن يعود لذلك الحضور المطول والفريد مـــن نوعـــه، والمتفرد عما سبقه، إلا أنه افتعل من مطاردة ومضغ وتجـــوال ونصـــائح (وهاهو لا يلهث ولا يمضغ).

الرجل الضالع الذي انتظر، أكد.

"لقد انتهت "

"ألا أراك ثانية؟ "

"بالطبع "

"على هذا النحو أم على النحو السابق؟ "

"على هذا النحو، إنما خطوة لن نتراجع عنها، بل ستعقبها خطوات"

"إذاً، ابق قليلاً، أريد معرفة المزيد عنك "

"فلنكتف بهذا القدر "

"لا" صرخ في وجه الرجل الضالع.

"ما الذي تريده؟" قال الرجل الضالع بغضب.

"من أنت؟ "

بغته السؤال، بدا الرجل الضالع مصدوماً وموشكاً على الانهيار. لـــو أنه سأله هذا السؤال في بداية لقائهما لانتهى حديثهما من فوره.

الرجل الضالع معتصم بالصمت.

"ليس كافياً أبداً" أكد طلبه، محدداً شرطه، لا خطوة ثانية قبل أن يعـــرف المزيد عنه مرسلاً إليه إشارة مفضوحة، ومومئاً بحذاقة إلى نقطة ضعفه الصلبـــة ... أثيريته، واضعاً إياه على المحك، لن يدعه يواصل ظهوره، حاسماً وجـــوده، مغفلاً التفسير المقنع والواضح لتجسده الدوري، والآن هذا اللقـــاء الســـخي والذي ربما، لن يتكرر ثانية على هذه الصورة المستفيضة.

"أنا لا أعرف عنك شيئاً " أردف بعتب مبيناً موقفه، آملاً أن يلـــين

عناد الرجل الضالع الذي أجاب:

"هذا ليس عائقاً، إنه فضول. لا تجعل من حرفية الحقيقة حائلاً تافهاً بيننا"

"لقد رأيتك مراراً، على مدار السنوات، وفي أماكن مختلفة، أماكن يستحيل أن توجد فيها، لا تتركني أفكر فيك كلغز مبهم، لغز لن أجد له تعليلاً إلا بإنكارك. أتساءل هل أنت أنا؟! ولا وجود لك إلا في خيالي. لو خطر لي يوماً أن أكتب قصتنا، فلن تكون فيها سوى مجرد طيف"

"إذا حدث هذا اترك هامشاً من عدم اليقين، لا تحاول أن تكون جازماً"

"لا محالة، سأنفي وجودك "

"حذار أن تكتبني كما يحلو لك "

لم يكن يحذره، كان يهدده بعد أن تهاوت دفاعاته. وأيضاً، كأنه وقد أخفقت اللفتة الأولى، يتهيأ للفتة ثانية، يختفي فيها. لكنه أحجم وكأن فكرة راودته، جعلته ينفتل على حين غرة إلى الخلف بحركة بدت طائشة، وتقدم الرجل الضالع بخطى ثابتة.

"نحن الآن في زقاق خلفي" بسط يديه مستعرضاً الأبنية العالية "يقف الواحد منا على مسافة ضئيلة من الآخر" تلكأ ناظراً إليه "وأنت تراني عن كثب" تابع صوب نهاية الدخلة "لنتمشى قليلاً، الجو رائع، هانحن نطل على شارع ٢٩ أيار، على الرصيف المقابل، سينما السفراء، وإلى يميننا مقهى الفاروق. سنقترب منه" انعطف في اتجاهه "انظر، صديقك أصطفاني جالس وحيداً يدخن نرجيلة لقد رآنا، اذهب إليه"

بالضبط كان أصطفاني جالساً وحيداً يدخن النرجيلة وينظر إليه. لم يلتفت إلى الرجل الضالع أو يودعه، خمن، سيبدو تحت أنظار أصطفاني، أنه يلغو مع الهواء. صعد درج المقهى، موقناً أن الرجل الضالع اختفى من على الرصيف في اللحظة التي أدار ظهره له.

"من هذا الرجل الذي كان معك؟" تساءل أصطفاني.

تمالك إلى جواره مصعوقاً، لم يصدق سؤالاً كان برهاناً قاطعاً علـــى أنه كان إلى ما قبل لحظات برفقة الرجل الضالع.

"الرجل الضالع" تابع مذهولاً "إنه حقيقي، أليس هذا غريباً؟! "

" لم أعد أستغرب شيئاً منك" رد أصطفاني ضاحكاً.

"هل رأيته قبل هذه المرة؟ "

"سمعت عنه" أجاب أصطفاني ساخراً، الرجل الضالع يعبر الشـــارع. أصطفاني يستعيد بضيق تلك الليلة التي رافقه فيـــها إلى البيـــت ومعـــهما جولييت. الرجل الضالع يبتعد. أصطفاني ينعته بالوضاعة. بصره لا يطـــال الرجل الضالع.

لا أثر للرجل الضالع، وكأنه لم يكن معه، أو لم يره على الإطلاق هل يتجرأ على قول هذا، بعد أن ظفر الرجل الضالع بشاهد على وجوده؟!

Abu Abdo Alaqaly

١٩. فاصل قصصي

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

حتى لو كانت أشبه بقصة، أو ـــ كما قال الرجل الضـــالع ـــ أمـــر مفروغ منه كقصة، فهي دون مراء، وفي الظاهر، تبدو متماسكة، مؤامـــرة ومتآمرون، عملاء ومعارضون، أجهزة ومجموعات عمل، غير أنها تفتقـــد إلى ذلك الحس بالتناسب بين الاتهامات المطروحة والحقيقـــة الســـاطعة، الاتهامات يجب أن تستمد من الواقع والأحداث وليس العكـــس. إنهـــا، وحتى الآن، وبرمتها قصتهم، قصة لن تصمد للنقد ولن ينفع فيها التنقيـــح. ما ينبغي عليه هو أن يفتح ثغرة في بنائها القصصي، من خلال فكرة حاذقة وأخلاقية، يتوسع فيها دونما شاغل جمالي، عبر موقف متوتر، ينسل منه لمحة هي الأكثر كثافة وكشفاً، يتابعها بأناة وصبر، جاهداً ألا تتوارى خلـــف أسلوب منمق أو بليغ. ثم، وبتركيبة بسيطة وأداء طبيعي وتسلسل ســـلس وذكي، يكتب قصته المضادة.

الفكرة هي الضمير، تحريض ضمير المنسق. والموقف الذي ســـيكون متوتراً هو مغامرته بلقاء المنسق خارقاً أوامره بعدم الســـعي إلى مقابلتـــه ومتى؟! بعد أن شرشح له مراسله علناً ومستشاره سراً. أما اللمحة، فـــهي إلهام ...

بين الدهاليز والأدراج، تاه عن غرفة المنسق.

"وكأنه لن يقيد لي أن ... "

ومال مطلاً على دهليز امتلأ بالبشر. تراءى له أنه الدهليز الذي انطبـع في ذاكرته خالياً دائما. دقق النظر، كان هو الدهليز المـــؤدي إلى غرفـــة المنسق وقد أصبح

ردهة انتظار، صفت على جنباتها مقاعد طولانية خشـــبية مفرغـــة،

تغص بأشخاص روكسي، أبو سمعان، قارىء الحظ، جولييت، المطـــرب، جالسين يتبادلون الصمت والوجوم. اقترب من الباب، فيما ظهر المراسـل/ المستشار وسدّه بجسده. كان يلعب دور الحاجب.

"سأناديك عندما يحين دورك " وكأنه لا يعرفه.

استند إلى الجدار بجوار مقعد قارىء الحظ. الوقـــت يـــدب ببـــطء، المطرب ينغم لحناً بصوت منخفض، أبو سمعان ينفـــخ بملـــل، جولييـــت نعسانة.

"أبو سمعان " الحاجب ينادي.

يتوجه أبو سمعان نحو الباب الذي انفتح وخرجـــت منـــه الســـيدة جيهان!! ما الذي جاء بها؟! تشيح عنه بوجهها، وتروز جولييت بنظـــرة متفحصة. ثمة ما حدث الليلة الماضية.

"ماذا يخبأ لنا؟ " انحنى على قارىء الحظ.

"أنا أكشف الحظ فقط "

"أقصد، الحاضر "

"أنا متشائم "

أهو مشهد يتداعى كالمعتاد على عواهنه؟! لكن أين هو الذي يظـــهر عند أطرافه؟! برز من مدخل الدهليز، يلبس سترة رصاصية اللون ياقتـــها مرفوعة تغطي نصف وجهه كما في الأفلام البوليسية، تراجـــع صـــوب الدرج بخفة، مومئاً له برأسه. انسحب والتحق به، وجده متكئاً على سور **حافة الدرج**، أمسكه من كمه وهزه.

"إنك تعطلني بهذا المشهد "

العتمة أخفت جبين الرجل الضالع وشعره، لم يبن منه سوى عينيه.

"لا يد لي فيه " صوته يأتي من خلف ياقة السترة.

"مشهد لا لزوم له، سأخرج منه" قال للرجل الضالع غاضباً.

"لا تتهور" مضفياً بغموض سحنته، يقيناً مخادعاً على المشهد الـــذي ركبّـــه، وتركه، مرتَـــكِـــباً فيه خطأً طفيفاً وفظيعاً.

"جيهان كانت هنا " دله على الخطأ.

"مصادفة "

"مصادفة مختلقة "

"أخفض صوتك لئلا يسمعوننا "

أمسك عن الكلام. الرجل الضالع يحدق فيه ممرراً في الصمت شحنات تقسره على التكيف مع التطورات الأخيرة.

"حسن لطفي " الحاجب ينادي.

غرفة المنسق: لم يؤخذ بالمنسق الذي تخايل وقد أستل السيجار، ولا بالغرفة التي توطدت أركانها وأشياؤها، وسبحت في دخان لم يكن دخاناً صرفاً، وإنما غمغمات بلا رائحة. صوت المنسق ينطلق كصافرة دخانية.

"إنها تمثيلية نجريها على مرأى من المطرب لإبعاد الشبهات عنك، وبهذا تعمل على راحتك"

تمثيلية، وممثلون عنوة، وممثلون زائدون عن الحاجة.

"ما علاقة السيدة جيهان بروكسي؟! "

يقصم بسؤاله المتوفز، ظهر تمثيلية هي لاشيء، مفتتاً المنسق والدخان الذي احتمى خلفه إلى شوائب، ليست إلا بضعة مخاوف تقبع في مؤخرة رأسه.

"السيدة جيهان قضيتها مختلفة، قدمت شكوى ضد موظف يعمل في الداخلية آذى مشاعرها. لم أنظر فيها بعد، مع أنها أوجزتها لي، شكوى تافهة، بالنسبة لها لا تطاق"

لم يهتز المنظر، ازداد رسوخاً، خشي أن يصبح ممثلاً لحساب المنسق الذي ازداد تماسكاً، وهو يقول :

"بينما علي الإهتمام بهؤلاء الذين ينتظرونني منذ مساء البارحة. هذه التمثيلة قد تطول أياما"

حافة الدرج: الرجل الضالع يعبر عن ارتياحه.

"لا تنشغل بجيهان " مبرهناً أنه لم يستوعب التمثيلية.

"لقد استدعاها وسألها عني، وهي لم تذكرني بخير "

"فكر بشيء آخر "

غرفة المنسق: فـكّـر بشيء آخر، قال :

في كل يوم تخسر روكسي بعضاً من زبائنها "

"هذا صحيح، لقد وعدت أبا سمعان بالإسراع بفتح روكسي، حالتهم سيئة قال لي بأنه يعيل أسرتين، و أن جوليت أم لطفلين. لكنني مقيد بمماطلتهم "

"ألا تستطيع أن تقدم لهم مساعدة ريثما تفتح روكسي؟"

من فتحة الباب لمح اصطفاني واقفاً في الدهليز. اصطفاني أيضاً؟! لا، ليس اصطفاني المقصود بل هو، اصطفاني لم يأت إلى روكسي سوى مرة واحدة. تذكر أنه فاته أن يسأله عن سبب قدومه تلك الليلة إلى روكسي.

حافة الدرج: "اصطفاني مطلوب، أنت غافل عما يدبره المنسق"

"لا تشتت أفكارك " نبهه الرجل الضالع، ودفعه إلى

غرفة المنسق: المنسق يشرح وبإسهاب، لماذا لا يستطيع صرف إعانات لصاحب حمارة أو لا مرأة سيرتها في مستوى الشبهات.

"أنت لاتجهلها" وغمزه مبتسماً "الداخلية ليست جمعية خيرية "

ردهة الانتظار : اصطفاني يقترب من جولييت، الحاجب ينهره، يبتعد ويجلس إلى جانب قارىء الحظ.

"حذرتني من صديقي و لم تتنبأ بما يحدث الآن "

"هذا لم يكن مكتوباً في كفك ولا في كفي "

غرفة المنسق : لم يشتت أفكاره، ركزها. لكن والمنسق يسأله عن أسباب تأخره في كتابة التقرير،كانت الفرصة مواتية كي يضعه أمام الحقيقة.

" لم أعثر على دليل واحد يؤيد شكوكنا في عدنان لطفي أو غيره "

"لا حاجة إلى دليل لقد باعوا ضمائرهم "

الضمير؟! رده إلى الثغرة التي حاول فتحها، واستغلها المنسق دون وازع من ضمير، و لم يدع له أيضاً مجالاً للنقاش.

"كل ما ستكتبه في تقريرك سيعترفون به، و بحذافيره "

ساورته الظنون في أن ما يقوله المنسق من اختلاق الرجل الضالع، الضالع في هذا المشهد السخيف، وهذه المهزلة التي ستمتد، وتصبح كابوساً لن يوفره المنسق، و هاهو يخلع عليه شيء من الجد.

"إياك أن تسرب كلمة واحدة من تقريرك "

نهض المنسق، انتهت المقابلة، وجد نفسه في

طلعة رامي: أمام واجهة مطعم. قال لصورته على الزجاج:

"الداخلية ستقضي على حياتي، وتنهي علاقتي بعدنان بك وجيهان"

"واصطفاني أيضاً " قالت الصورة التي على الزجاج.

ردهة الانتظار: مرّ إلى جوار اصطفاني.

"ما الذي تفعله هنا؟! " تلكأ هامساً.

"هذه المرأة تدعي أنني نمت معها "دل اصطفاني على جولييت.

"ما تقوله صحيح "

"أنا لم أقربها !!"

"لقد نمت معها بالنيابة عنك."

"دون علم مني !!"

بدا الموقف مرحاً لا يخلو من ترفيه.

"ألم تكن تبحث عن ..." قال بحبور، لم يكمل، ما زال في

غرفة المنسق : المقابلة لم تنته بعد.

"...وهزّأت مراسلي إليك في شارع عام مكتظ بالبشر، مع أنك كنت تعرف أنه أكثر من مراسل"

"ادعى أنه مستشارك "

"مستشاري الثقافي، إنه ناقد أدبي مهم، يكتب دراسات في فن القصة القصيرة، ويعمل أيضاً في الرقابة على الكتب والصحف، لديه أعباء كثيرة"

"ناقد أدبي في الداخلية"

"لقد استعرته لهذه القضية، ستواجهني فيها بعض القصص، وعلي أن أختار الأفضل"

"إنه يعمل بإخلاص زائد، ظننته مُستأجراً"

"مجرد تبادل خبرات، لقد أظهر براعة جيدة، تعاون معه "

"كان وقحاً معي"

"وقح، استغرب، أعرفه ذليلاً جداً، ربما لأنه يعاملك على أساس أنك كاتب قصة. من الآن فصاعداً سيغير أسلوبه معك، سيكون في منتهى اللطف"

الحاجب/ المراسل/ المستشار/ الناقد الأدبي/ الرقيب/ يكشر عن ابتسامة صفراء. انتهت المقابلة ثانية، و خرج إلى

ردهة الانتظار، اعترضه المطرب، بين أصابعه سيكارة

"ولعة من فضلك "

أخرج من جيبه علبة كبريت، أشعل عوداً، المطرب ينفخ عليه ويطفئه، يبتسم ويقبض على معصمه.

"لنذهب معاً"

نتريده منه، رمى بالعود أرضاً،و تابع صوب الدرج.

طلعة رامي: على الزجاج، خيالهما.

" لم تقل لي، ما الذي أبحث عنه؟!" اصطفاني يسأله.

"ألم تكن دائما تبحث عن المدهش و العجيب، تلك كانت عينة"

"عينة فاسدة " زمجر اصطفاني.

"ألأنه ينقصها القليل من المنطق؟"

"أنا أرتاب في المنطق "

مطعم سقراط: اصطفاني مرسلاً نظراته إلى شارع بور سعيد.

"الشعر حدوس غامضة "

يسترسل متحدثاً عن عالم بارد،الشعر فيه يتقلص، عالم له يقينـــه، لا يستسيغ الشعر.

قرقعة أطباق وملاعق، جلبة الشارع. هو أم اصطفاني الذي قال:

"أنا أعيش نثرا مسهباً يسوغ الفظاعات، وأحاول أن أرصفه في أبيات حرة"؟!

مضى الحديث بينهما، طال و امتد في

مطعم لوازيس: أخذ يسرد على اصطفاني وقائع ليلتهما بالتدريج، مذ خروجهما من روكسي إلى أن صفق الباب في وجهه. بعد ذلك، أخـــبره عما جرى في غيابه، مغفلاً التفاصيل الدقيقة.

قطع اصطفاني الحديث بفظاظة قائلاً:

"أنت تسيء استغلال المنطق، فيما عليك الاستغناء عنه "

يرتقي الدرج إلى

العلية: الرجل الضالع سبقه إليها. سترته متهدلة، ومنهمك بـــإجراء تبديلات أخذ يعددها.

"أنت في

منزل جيهان : في الصالون. كنبات زيتية اللـــون، متكآتهـــا مذهبـــة الشناشيل، جدران بيضاء تتموج بخيوط صفراء، جيهان تلبس ثوباً ســـابغاً أبيض اللون، مقلماً بخطوط خضراء، جو من الرفعة والتجلـــي الـــبريء، شعاع من النور يجمع بين روحيكما، هي في اكتمـــال نضارتهـــا، تحلـــق بأفكارها السامية، أنت مشدود إليها، متسام معها. فجأة يستولي عليـــك خاطر يشيع فيك البلبلة، إنك تريدها إلى الحد الذي تود فيـــه لـــو أنـــك تغتصبها، ما الذي تقوله؟"

"أقول، في داخلي بقعة مظلمة وآسنة تـــأخذني إلى ذلـــك الشـــيء البغيض. أقول، إنها رغبة حمقاء "

وتتناغم برهافة في انسجام الألوان.

"فسر " الرجل الضالع يطلب.

يفسر :

"رغبة من كيمياء متوحشة، مزيج من ظمأ ووهـــم ورؤى وجـــوع وظنون وأحاسيس، مزيج من المستحيل رده إلى عناصره الأولية "

تتناغم في جنون في فوضى الألوان.

"أين أنا؟!" كأنه في غرفة مظلمة.

"أنت في

مقهى الفاروق " أجابه اصطفاني.

يرقب المنظر الآفل ويصفه لاصطفاني:

"كان موقفاً في منتهى الشاعرية والتناسق،كاد أن ينقلني من حـــال إلى حال. ما الذي عصف بي؟! لو أنني وصفت لك ما حدث بأمانة فســـوف تشمئز مني. لن أصفه لك، المشكلة هي أن هناك هدفاً مباشـــرا منحطـــاً يستحوذ علي، ملغوماً بشذوذه،فيما خيالي يفرط في عشوائيته"

"جنة الخيال " يهتف اصطفاني.

"قل جحيمه "

يتراشقان الاتهامات. الرجل الضالع يحجز بينهما.

"اقرأ هذه الصفحة "

يناوله صفحة منتزعة من مجلة،كانت القصة التي كتبتها جيهان مؤخـــراً تحت عنوان (الوهم).

يأخذ بقراءة القصة في

العلّـــية. وعلى المنوال ذاته، لم يخرج الوهم عن وهم ســـبقه.المـــرأة الرقيقة في عوالمها الحزينة،تنشد رفقة تؤنسها.الرجل الذي يبـــدو مـــهذباً ومتفهماً، ومهتما بها، يرسم خدعة الأشواق بباقات الـــورود والرســـائل

والشموع، ثم في اللحظات الأشد قرباً، وكانت الأشد تباعداً، يبثها الرجل التياه برجولته عواطفه، وبحركة لا تخلو من خراقة يضمها إلى صدره. تصده بحزم دون أن تضعف، يغادرها (بحرجراً أذيال الخيبة) وتشيعه غير آسفة (وانتصرت على وهم الحب).

لا يخطىء ملامحها في الصورة التي قدمتها لنفسها، ولا يخطىء ملامحه في الصورة التي قدمته بها ...رجل مبتذل يطمح إلى الاستحواذ عليها.

"هذا ليس أنا "كور القصة وقذف بها بعيداً.

تلقفها الرجل الضالع وأعادها إليه.

"اقرأها ثانية "

طوح بها ثانية، وأخذ يشرح لاصطفاني معناها.

"العواطف انحرافات ينبغي التحكم بها "

"كلمات هائلة وفارغة "

مطعم سقراط: يكرر على مسامع الرجل الضالع، بحضور اصطفاني، مدى سخف الأسباب التي أوردها جيهان في قصتها، ويعلق

"ثرثرة ضمير سليط ومتسلط "

"أنت لم تقرأها بإمعان" قال الرجل الضالع.

"صديقي يؤيدني "

"صديقك لا وجود له " رد الرجل الضالع بتهكم.

"لا وجود له الآن " محدداً المقصود بعدم وجوده.

"ليس الآن، ولا في أي زمان أو مكان " حدد الرجل الضالع بتؤدة المقصود بعدم وجود أصطفاني " أسأله "

أصطفاني مرتبك لا يحير جواباً. انزعج وخاطبه :

"ألم تسمع؟! " حضه " قل شيئاً "

"اعتقد أنني غير موجود " نبس أصطفاني.

حيره أن أصطفاني لم يعترض، بل أنه شكك بوجوده. هل يعقـــل أن أصطفاني أصبح خاضعاً كلية لتأثير الرجل الضالع؟!

"لا تصدقه، هو الذي ينطبق عليه هذا الوصف. لولاك، لما كان هنـلك دليل على وجوده "

"في الحقيقة، أنا غير موجود، و لم أكن موجوداً " اعترف أصطفاني.

الرجل الضالع يحتل المكان كله، متباهياً بفعلته، وكأنه أنجز أمراً كـــان عليه أن ينجزه منذ زمن بعيد.

"ألم يكنٍ من الأفضل أن تأتي على المنسق والداخلية؟! " قال للرجـــل الضالع غاضباً.

الرجل الضالع على

شرفة الليل. يشرح :

"إنها قصص مبعثرة، وتحتاج إلى الكد "

وربما كان هو الذي يطل على الرجل الضالع من

شرفة الحلم، غارقاً في إفرازات الخيال. الرجل الضالع يكمل شرحه:

"مواد غفل عليك تخصيبها "

يبسط على الفراغ خيالات جامحة، مفككة الأوصال، يعوزها العمـــق والمجازفة والإخلاص والحيلة.

٢٠. يا حبوبي، كنت وحدك

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

وكأنه قضى النهار بطوله مسمراً على واجهة مطعم في شارع رامي، سها في مطلعه، وصحا عند المغيب على الندل يلملمون البقايا من فوق الموائد. وهو على الزجاج يجمع شمل بقايا خيال ساح بعيداً وعاد باهتاً من شطحات أهكته، بدءاً من ردهة الانتظار إلى شرفة الحلم.

انطفأت أضواء المطعم، وبزغت أنوار الرصيف المقابل متفرقة في الظلام، من فجوات العتمة ظهر رجل المنسق متوجهاً نحوه، وكأن هناك ملحقاً سقط سهواً، حمله إليه كي يضيفه إلى ما سبق. ترى أي دور سيلعبه الآن؟! مد رجل المنسق يده إليه وكأنه يستجديه، على راحة كفه ورقة مطوية.

"رسالة من المنسق" الآن، هو المراسل.

أخذ الورقة من كفة المبسوطة، فردها، قرأ : اذهب الليلة إلى روكسي.

"أرجو ألا أكون قد أزعجتك " قال المراسل بأدب جم.

"لا، لم تزعجني "

"وألا أكون قد نقلت إليك خبراً سيئاً "

"بالطبع، لا "

تصاغر المراسل، تمنى له التوفيق، وابتعد.

تصرف المراسل الخالي من الحركات الممجوجة، كان في منتهى التهذيب، والرسالة البالغة القصر، كانت اختصاراً بليغاً للنجاح السريع الذي أحرزه المنسق بإعادة فتح روكسي بوسائله الناجعة. كانت سياحته المتلاشية قد أخذت تؤتي ثمارها في ضوضاء شارع رامي بعد المغيب، في الوقت الذي تغلق فيه المحلات مع بدء حفلة الساعة السابعة في سينما

الشرق. الأضواء تتناقص، الدقائق لا تتسارع.

يتذكر، كانت هناك قصة يريد أن يفتح فيها ثغرة، اقتنصها الرجل الضالع ولعب بها على هواه، استعراض لم يقتصر على أشخاص الداخلية وروكسي، بل زج معهم السيدة جيهان وصديقه أصطفاني، الرجل الضالع شد من أزره في تجواله الذي كانت فيه ظلال من الحقيقة، لكنه بالغ في أمرين: الأول، جيهان، شكواها وقصتها. الثاني، إلغاء أصطفاني من الواقع. إذا كانت شكوى جيهان لا تستأهل التوقف عندها، كذلك قصتها التي لم تنشر بعد، لا تحتاج إلى مهارة كي تكون كما قرأها تماماً، إذ جيهان تكتب هكذا. أما مسح أصطفاني، فقد تعدى حاضر سياحة لم يكن فيها، إلى ماضٍ كان فيه. الرجل الضالع حقن خليطاً بهلام ؛ مهما كانت كثافته، ومهما بلغ من القوة والإيهام، فالحياة لا تحفل به، وما اختلاقاته إلا شاشاته التي لن تمتد إلى ما سيأتي، ومهما حاول — كما طلب منه الرجل الضالع — أن يشحذ ذهنه وموهبته، في تركيبة ما، مشذبة من أصطفاني، فلن يستطيع أو يفلح، وعشرات الأدلة تثبت عكسه.

لا، لن يُمكنَ الرجل الضالع من أن يملي عليه خيالاً انتقائياً، أصطفاني موجود، موجود الآن، في أحد تلك الأماكن التي يلتقيه فيها، وسوف يصادفه كالمعتاد في شارع أو دخلة أو زقاق تمشيا فيه ليلاً، أو خلال انتظاره في مقهى أو مطعم جلسا فيهما مراراً.

تلك المصادفة لم تصادفه، إذ لم يعثر عليه. سأل عنه أصدقاء ومعارف وندل، فلم يتذكروه، كأنهم لا يعرفونه !! بيد أنه، أيضاً، لن يستطيع الاعتماد على المصادفة وهو يتبين أمراً لم يخطر له من قبل ... إنه يجهل عنوانه، وليس لديهما أصدقاء مشتركون!!.

ربما كان في روكسي.

لم يجده في روكسي، و لم تكن كما ألفها. كانت قاتمة مكفهرة، ومتحفزة. كل منهم يختلس النظر إليه متحسباً، أبو سمعان عند البار فارقته خفة دمه، جولييت منتفخة الأجفان، غطت أنفها وفمها بمنديل، قارىء

الحظ مطرق برأسه، خائب التنبؤات، المطرب يدندن بنشاز.

وكأنهم فرغوا لتوهم من تحقيق مرهق، بات يفصل قبله عما بعده. جولييت المسكينة تمسح بطرف المنديل عينيها، لا شك أن المنسق أغلظ لها القول، كبتت دموعها في التحقيق، وفي روكسي تداري نشيجاً تتره دمعة دمعة، وهو الجاني عليها جالس بكل ارتياح ودونما تبكيت للضمير، يحس بجريمته نحوها، قلبه يمتلئ شفقة، لكن حالته لا تساعده على التخفيف عنها، هو الذي بحاجة لمن يخفف عنه، لو أن بينهما مودة ومسارة لواساها وواسته، وكان بمقدورها في مثل هذا الظرف ليس أن تتفهم أنه فقد صديقاً، وإنما أن تثبت أنه لم يفقده. ألم يكن أصطفاني هنا منذ أيام؟! ألم ينم معها؟!

أعني، أليس هذا ما تظنه؟! لم لا يجرب معها؟ !

"هل سأل عني أحد؟ "

أزاحت المنديل عن أنفها بدا منتفخاً.

"لا "

من خرير صوتها أدرك أنها لم تكن تبكي وإنما مزكومة.

"ألا تتذكرين صديقي، كان هنا منذ أيام جالساً إلى جوار قارىء الحظ، في الزاوية تماماً؟ "

"صديقك؟! بائع المسكة؟! "

"صديقي ليس بائع المسكة، و لم يجلس معي "

"إذاً، من يكون صديقك؟! "

"هذا الذي عندما خرجنا، لحق بنا وركب معنا التاكسي "

" لم يرافقنا أحد "

"تذكري، رافقنا وذهب معنا إلى البيت "

استغرب أن ينطوي من ذهنها أمر من صميم عملها، وأن تتعجب فحسب ولا تحاول أن تجهد ذاكرتها قليلاً كي تتذكره.

"هذا لم يحدث "

"ألم ترافقيني إلى البيت؟ "

هزت رأسها بالإيجاب.

"حسناً، لم أكن وحدي كان صديقي معي "

صفنت طويلاً، ثم نفضت رأسها، ابتسمت وكأنها أمسكت شيئاً.

"يا حبوبي كنت وحدك" قالتها بدلع وبصوت ممطوط.

تخاتله أم تتلهى بتعذيبه؟!

" كنا اثنين، وكنت أنت متعبة "

"كنت متعبة كثيراً "

"طلبت مني ألا نتفنن " ألحف دون حياء.

"طلبت منك أن لا تتفنن "

"دوره كان الأول وأنا كنت الثاني، هو كان لطيفاً معك، وأنا لم أكن لطيفاً مثله. هذا ما قلته أنتِ "

"لم يكن هناك سواك " نفت نافذة الصبر.

"إذاً لماذا دفعت لك عن اثنين؟!"

"لأنك فعلتها مرتين" نبرت بضيق.

هل كانت حماقة لم تقنع أحداً، و لم تنطل إلا عليه فقط؟!.

برمت وجهها عنه، برم وجهه عنها صوب قارىء الحظ، كان مكانه فارغاً. المطرب يشنشن غير مبال، المطرب يثبت نظراته عليه، المطرب يرفع يده، سيكارة بين أصابعه، ينتظر من يشعلها له، وكأنهما في ردهة الانتظار.

لم يتردد، الفرصة التي أضاعها في الداخلية لن يفلتها في روكسي. نهض إلى المطرب، أشعل عود الكبريت، قربه إليه، انشرحت أسارير المطرب نفخ على العود، أطفأه، قال لنذهب معاً.

ابتعد عنه صوب الباب، سمع صوت المطرب يطلب الحساب من أبي سمعان. فتح الباب، خرج. في الليل، كانت اللمحة التي التقطها من وجه المطرب، واضحة تماماً، المطرب لم يخف أنه نجح في تحقيق اتصال معه طالما تاق له.

"رجل ج/٣ ينوي الإيقاع بي "قال لنفسه.

٢١ . النجوم في حالق السماء

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

كالنار في هشيم الليل، اندلعت أفكاره وتشظت على وقـــع خطواتـــه المتوثبة وروحه الهائجة. تناثرت غامضة وقلقة، تغوص وتطفو في الشـــــارع الفارغ إلا من سيارات تمخر سكونه ببطء وصمت. الدخـــلات بفوهاتهـــا المظلمة والأبنية بطوابقها العالية تتوالى هامدة الأنفاس. المطرب خلفه يتـــأثره مارقاً في الظلال الكالحة، يتخفى فيها وينشق عنها بقامته الممشوقة وكرافتتـــه الحمراء.

السكون مطبق على جنبات شارع ٢٩ أيار، لغط أفكاره يخبو مشـــتتاً. التفت وراءه، المطرب يكاد أن يدركه، وحيدان على الرصيف، في خـــلاء لا يلاحقهما أحد فيه. يهرول، يجري إلى الأمام، كأنه لم يستجب لدعوته، بـــل في سباق إلى دوار السبع بحرات، سباق لن يلتقيا في نهايته.

البنك المركزي تتبازغ أضلاعه كامدة، يزيد مـــن اندفاعاتـــه فاشـــخاً بأقصى سرعته، راغباً في تضليل المطرب، تتقطع أنفاسه، تتقلص عضـــــلات ساقيه. المطرب يقترب منه رويداً رويداً.

"رجل ج/٣ يلاحقني وأنا أجري دونما هدف "

ترددت في رأسه كمزحة باردة، وكأن الليل سيمضي هكـــــذا علـــى رجلين يجريان برتابة في بهيم قصة باتت تتمحور برداءة حول مطاردة بـــــلا معنى.

المطرب يحاذيه، العرق يبللهما، المطاردة تتناهى إلى خط الوصول تحـــت صرح الليل الدامس، إلى خط اللقاء تحت صرح الليل المغمـــــس بـــالنجوم، وكأن النجوم ترمي إليه بمعنى لم يفكر فيه ولم يبغيه، وعلى شكل إضـــاءات

... لماذا تعمل الداخلية والأجهزة خفية عن بعضهما بعضاً، في محض منافسة عمياء، كلاهما في أثر معلومات وأدلة، هل هي المعلومات والأدلة ذاتها؟! لماذا لا يأخذ جانب الأجهزة ويستعين بهم في نسف مؤامرة الداخلية، أليست لديه معلومات على أن الداخلية تطبخ مؤامرة كاذبة، مبنية على أدلة تافهة لا تستحق الذكر، ولاشيء؟!

مجازفة قد تكون مخاطرة خاطئة، مكلفة، وربما قاتلة. هل يقفز؟ ! ما هذا السؤال الغبي، إنه في حمأتها.

عند دوار السبع بحرات، انعطفا معاً في شارع بغداد. مد المطرب يده إليه مصافحاً، توقع أن تهصر قبضته أصابعه، لكن كف المطرب احتضنت أصابعه المتصلبة. التفت إليه، شمله بنظرة سريعة، المطرب مشرئب برأسه، حليق الذقن والشاربين، شعره مفروق في منتصفه، يتعرق عطراً ناعماً على وجهه ابتسامة مداهنة غير مريحة، ليست إلا قناعاً يخفي وراءه رجل أجهزة فظ ومخبراً في منتهى اللؤم. اختطف نظرة ثانية، بدا أن المطرب بعد أن استرد أنفاسه، يحاول الظهور كشاب عابث وهو يقول باستخفاف.

" لم كل هذا العناء؟! " ملمحاً إلى تلك الشوارع التي اجتازاها ركضاً، وملمحاً أيضاً إلى أنه مخبر بامتياز.

" كلما ابتعدنا عن الأنظار كان أفضل " رد عليه بجد.

الأشجار أرخت أغصانها على حواف الأرصفة، الليل صاف، الطريق تمتد في ظلام، أقدامهما تضرب في السكون.

أراد أن يكشف للمطرب أنه لم يؤخذ بقناعه.

" أنا أعرف من تكون "

" وأنا أيضاً، لم يخطئ تخميني، لكنك فاجأتني الليلة "

جاءه جوابه سريعاً، بألمعية وحنكة، بدا المطرب مخبراً متمكناً، لكنه لن يدعه يستعرض شطارته بفوقية ستكون مقززة.

" هل أستطيع الوثوق بك؟" سأله بخشونة.

" لا تخف " يطمئنه إلى أنه وقع بين أيدٍ أمينة.

أنا لست خائفاً " قال بحدة " لكنني لا أريد أن يعرف أحـــد، الأمـــر ليس سهلاً "

" لا تقل لي أنه لم تصادفك تجربة من قبل؟! " بدا ســـؤال المخـــبر في منتهى الحماقة، وضحكته في منتهى الوقاحة.

" بالطبع لا، أنا لا أنتقل كل يوم من طرف إلى طرف، إن لدي أسـبابي القوية" وتوقف يبحث عن كلمات يبرر بها لماذا ينقل ولاءه للأجهزة " أريـد أن أكون أميناً مع نفسي، هذا كل شيء "

" فلسفة جميلة، هذا شيء في داخلك "

أحس من المخبر تجاوباً معقولاً.

" لكنني أجده عسيراً جداً "

" اعتمد عليّ " شدّ المخبر على ساعده.

التفت إليه وشكره، أحس أن المخبر سيوفر عليه الإفاضة، ورغـــب في أن يبرهن على استقامته.

" أنا لا أريد مقابلاً "

" لا تتكلم عن مقابل، شيء مقابل شيء، ضع في ذهنك أنني أتفـهمك بشكل جيد، لا داعي للخجل "

" حسناً، إنها أسرار سأفشيها لك وأرتاح "

" قلها إذا كانت تساعدك في التغلب على ضعفك "

" لو لم أتغلب على ضعفي لما كنت الآن معك "

" أنا مستعد لسماعك "

اقترب المخبر منه، التصق به ثم أحاطه بذراعه، ضغط على كتفه، بـــدا مبالغاً في تعاطفه معه، وكأنهما أصدقاء قدامى جداً، يشعره بأنـــه معـــه، إلى جواره، يشد من أزره. على أن الارتياح الذي هبط عليه فارقه حينما أحـــس بأصابع المخبر تتسلل وتنبسط على وسطه متحسسة حزام بنطاله، حـــتى في

تلك اللحظات الرفاقية لم يتنازل المخبر عن كونه رجل أجـــهزة بالســـليقة، بادرة أزعجته، تدل على عدم وثوق المخبر به بعد، رغم أنها كانت حركـــة مألوفة وروتينية من تلك الأساليب المخابراتية الذكية، التي يبدو أنها عاديـــة لكنها ماكرة، ففيما كان المخبر يتظاهر برفع الكلفة بينهما، كان يفتشه علـى الماشي.

"أنا لا أحمل سلاحاً " مبعداً يده برفق عن حزامه.

أجابه المخبر بضحكة خافتة، فيما يده صعدت إلى صدره وتمســـحت بجيب قميصه.

"ولا أحمل أوراقاً مهمة "

تابع المخبر دون أن يعني باعتراضه وأخذ يفك له زر قميصه العلوي.

"مخبر صغير تافه " قال في دخيلته.

كفه تنسل من فتحة القميص، أصابعه تنفرج على وسعها، يمررها تحـت قميصه الداخلي، تمسد صدره، تصعد إلى رقبته.

تجمدت أطرافه، وثقل تفكيره، تـــرى عـــن أي شـــيء يبحـــث؟! لم يستوعب الحركات الأخيرة، خطر له أمر غامض، غامض جداً لم يفهمـــه، حبس له أنفاسه، ربما لأن المخبر ضيق الخناق على حلقه.

لم يكن المخبر يضيق الخناق على حلقه، كان يتلمس عنقـــه ويـــهوي بوجهه عليه، أنفاسه تبخ رائحة يانسون. تراجع متشنجاً برأسه إلى الخلـــف، وطعم حموضة لف لسانه. المخبر يتشممه ما الذي يتشممه؟! لكن والمخـــبر ينفث أنفاسه الحارقة ويطبع قبلاته الحراقة كيفما اتفق، عاد الخاطر الغـــامض وصفعه بقوة ووضوح. المخبر ليس مخبراً وإنما مطرب سكران وهذا المطـــرب فحسب، يطارحه الغرام في الشارع.

أمسك بالمطرب من شعره لاوياً برأسه إلى الخلف، غـــارزاً أظـــافره في وجهه، وقاذفاً به بعيداً عنه.

" ما الذي تظنه أيها المعتوه؟ "

المطرب يتهاوى أرضاً، مذهولاً.

" أنت خائف " يـعـيـره ويكررها " أنت خائف "

لم يكن المطرب يرتدي قناعاً سوى قناع ملامحه الحقيقية البشعة، مطرب من الدرك الأسفل مشدوه، منحط، الشهوة البلهاء تطل من عينيه.

" ألم تطلب مني هذا؟! " يفح بتخنث موبوء لا حد لشناعته.

" أنا؟! "

واندفع حانقاً نحوه وشاطه بقدمه، أصابه في صدره. انقلب المطرب على ظهره مطلقاً صرخة متوجعة، مستنداً بمرفقيه إلى الأرض يزحف ملهوجاً إلى الخلف، ثم يحاول النهوض.

لم يمكنه من الوقوف، ضربه بقبضته على صدغه، جثا فوقه، وانهال عليه صفعاً، المطرب يرفع يديه ويحمي وجهه بهما.

"لماذا تضربني؟! " يرجوه.

سائل دافئ يرتطم بوجهه مقزز وزنخ، لزوجة على كفيه وبين أصابعه. يشده من شعره، يخبط رأسه بالأرض وعلى وقع الطنين والأنين

"ستقتلني، ستقتلني " وبكاء.

يضغط على عنقه، عينا المطرب تجحظان وتغرغران بالدموع، يتخونق بالنشيج، مستسلماً للرعب والألم، تتحشرج أنفاسه مخضلة بالعبرات، تتصعد أنفاسه ملوثة بالدماء، مات، لا، إنه يحتضر.

ابتعد عنه مفزوعاً، يبعد بكفيه احتضاراً أخذت زفراته تتسلق الليل كمشهد أبدي. يبحلق فيه، كم طال هذا الفزع وهذا الاحتضار؟! يراه ينهض بجذعه، وكأنه ينهض من العالم الآخر، يزحف بوهن، يستند بظهره إلى الحائط، ويجهش باكياً بصوت عال ناظراً إليه بجزع، ويتبادلان الرعب.

ما الذي جرى؟! كاد أن يقتله، المنسق لفقه عميلاً للأجهزة والرجل الضالع لم يصحح هويته.

انهار جالساً إلى جواره، خائر الذهن، أخرج منديله من جيبه، أعطاه

له، لكن المطرب رده إليه وأخذ يمسح وجهه بكرافته.

"ظننتك شخصاً آخر ".

"أنا لم أؤذيك. ما الذي فعلته؟! " تهدج صوت المطرب.

"لا أدري " ويدري أن هناك الكثير مما يمكن أن يقال، ويريد قوله، لكن ما الذي يقوله عن أوهامه التي لا تصدق ومشكلاته التي لا تنتهي، ومأزقه اللعين هذا؟

"أنت الذي تحرشت بي " قال المطرب.

" لم أقصد، أنا أكره هذا، كنت أقصد شيئاً آخر "

"اعتقدتك تبادلني المشاعر نفسها "

" وأنا تخيلتُ أنك ستساعدني، لقد أخطأت".

"ربما أنا الذي أخطأت لكن لم ضربتني وشتمتني؟! أنا لدي عواطفي أيضاً "

عواطفي؟! كلمة أشبه بعويل جارح، كذلك الصوت الجميل الذي سمعه في روكسي يطلقه شاب متأنق، وتترجع الآن ممزقة نازفة من حنجرة شاب مسكين، منكوش الشعر مهشم الوجه.

"الآخرون، أغلبهم، يكرهونني. أنا لا أكره أحداً "

"سامحني، كان سوء تفاهم " ربت على يد المطرب.

المطرب يمسح دموعه.

"ربما أنا مجنون " قال للمطرب.

تحير، لم يكن المطرب بذيئاً ولا مغرياً، ربما ليس مغرياً بالنسبة له، كان عاقلاً وطيباً ومهذباً، وبمعنى ما رقيق الحاشية. كيف يشتهي الرجال، أو يشتهيه الرجال؟ !

"هل لما تفعله علاقة بالحب؟ "

"إنه الحب "

"أليس هو مجرد ... أنت أدرى "

"مجرد ماذا؟! "

"رغبة "

"لا، إنها تأتي مع الحب وقد تسبقه، الأفضل أن يكونا معاً "

"ماذا لو كان الحب فقط؟! "

"الحب فقط، شيء جميل، لكن ما الذي سيفعلانه؟! "

"يحب الواحد منهما الآخر فحسب "

"كل الوقت؟! "

وميض ساقط بين الأشجار الساكنة، رائحة آس، رائحة موت، ليل ما زال رطباً وصافياً.

"الليلة خامرني الأمل إنني ظفرت بالرفيق الذي أنشده، بالحب الذي تمنيته. لم أدر أنني هويت من لا يهواني ... " ويسترسل في شكواه.

النجوم في حالق السماء ... يسمعه من ذلك المكان البعيد الذي أرسلته إليه شكوى هي شكواه التي تعذبه وتجول في دخيلته، المطرب إنما يعلنها، الهوى رجاءات وإحباطات، وقلب مريض بالحب مرض الموت، هذا القلب الذي يجب جيهان، يحبها ذلك الحب العظيم، يحبها أكثر من نفسه، جيهان التي لا تأبه له، جيهان المتنكرة حتى لمشاعرها. غرام كتب إخفاقة في ذلك الفاصل القصصي، ألم يرسمها الرجل الضالع مشيحة بوجهها عنه؟! والآن، كأنه فاصل تابع وأخرق، تعثر بالمطرب وشفى غليله منه دون وجه حق، ما أفدح المصادفات !!

وهذه مصادفة ثانية، إنه في هذه اللحظة، كان المطرب يندب حظه في هذا اليوم بالذات الذي بدأ بداية تنذر بالشؤم.

" ... استدعوني صباحاً إلى الداخلية، وصرفوني ظهراً دون أن يسألوني سؤالاً واحداً "

الفاصل القصص يؤكد تفاصيله !!

" هل رأيتني هناك؟ " سأله بصوت واجف.

" طلبت منك أن تشعل سيكارتي، ثم وكأننا تبادلنا بعض الكلمات "

كاد أن يقول له أنه لم يتلفظ بحرف واحد، وإنما هو الذي تلفظ بكلمتين، لكن ... قفز من مكانه، ما زالت هناك قصة، قصة جيهان التي قرأها، القصة التي لم تنشر بعد، أهي نشرت فعلاً؟!

الصوت المشدوخ يودعه.

أنا بالأمل أسهر ليالي في الخيال.

Abu Abdo Albagl

٢٢ـ سحقاً للقصص

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

عثر على قصتها حيث طوح بها، مرمية على أرض العلـيّة.

استولت عليه من الكلمة الأولى، وكأنه لم يقرأها من قبل إلا شـاردا عنها. والآن، كلمة كلمة، تستدعي قصصها، كلمة كلمـة، مـا فاتهـا تكمله. يسلك دروب وحدتها، يقفو آثار وحشتها، يقتفي معالم خيبتـها، وهي تنسج مطمئنة من الرجل الوسيم، الرجل الكريه.

وكأنما، تتلو عليه بصوتها.

صوتها يترقرق تياهاً، متمادياً مغالياً، موجة إثر موجة، تخلف رغـوات تشف عن ذلك الذي لم يكتب وبقي غير مكتوب على الـدوام، يسـفر شائكاً وشائقاً، بعناد، بين السطور ومتاهات الضغينة وسلوات الفضيلـة، يتدفق إلى سمعه متكسراً بصخب، يتقصاه متلوي البصر ومزعزع السـمع، مطبوعاً بحروف سوداء تصطفق على صفحة بيضاء، يفيض بحنان وضحالـة من قصص كتبت برياء الكلمات وخطل المشاعر.

يقرأها بعين الواقع، وتتهافت حيلها وأحابيلها.

يقرأها بعين الأدب، وتتقوض دقائق صنعتها.

يقرأها بعين الخيال، وتتهتك غشاوة غموضها الركيك.

هاهو، يقطعها إرباً، يمزقها بتحليل لا يرحم، تحليل رهيب، تتماثل فيه ومنه أشلاء، كما كانت وعلى ما هي عليه، ممسوسة بلظى رغبات عارمـة ومحرّمة، تسوغ ضعفها الساطع بهجران فجّ، تنفي استسـلامها الصـارخ بمقاومة سقيمة، وفجورها الجميل بعفة صفيقـة، في حبكـة تماسـكت

وتضعضعت وتوارت، خيطت من شهوات تتوهج برقة وشظف، وتتفجر بعنف وشغف. كانت تتمنع، كانت لا تمتنع.

ذروة عصفت بها نقطة النهاية. شطب النقطة، فلتتابع القصة مجراها.

"في هذا الوقت؟! "

كانت في روب النوم ملتفة بشال مخرم، سماوي اللون، عابسة تفرك عينيها.

"لم أستطع الانتظار حتى الصباح " ولبث واقفاً كاللوح.

"الساعة تجاوزت منتصف الليل "

"قرأت قصتك، لم أستطع النوم، أريد أن أحدثك عنها "

"ما بها قصتي؟! " ابتعدت عن الباب " لا تطل بقاءك "

هنا جلس بطل قصتها، وجلس مكانه. وهنا، في مكانها، تجلس على مقربة منه.

"اسمحي لي بـ ... " رجاها كما في القصة.

"دقيقتان لا أكثر " قاطعته كما في القصة.

تقوده إلى الخاتمة، تمهله دقيقتين يتوسل فيهما إليها. ثم، لا أكثر من أن يحاول ضمها إلى صدره، ولا أقل من أن يخرج مجرجراً أذيال الخيبة، مصطدماً بالنقطة ذاتها.

لن تتابع القصة مجراها، ولن يحتل مكان الرجل الذي مرّ في حياتها ومررته على صفحاتها. لكن كيف يتفلت من النقطة القاضية ويلعب دوراً يعتلج في فؤاده ويتخبط داخله؟!

أيها الولد الجاهل، لا تتردد، اذهب إلى الحب.

"فقدت صديقاً عزيزاً، وسأفقد وظيفتي، وأخشى أن أفقدك "

"تفقدني؟! " طار النوم من عينيها " " لم أعرفك إلا منذ أيام "

"أنا أعرفك منذ زمن طويل، أطول مما تظنين "

"تعرفني !! ما الذي تزعمه أيها المأفون؟! " همست بصوت مرتجف، وقد هربت ألوانها، وزاغت عيناها، تتحزر نواياه خائفة ومتنمرة.

" أمي تناديني " هرعت إلى الداخل.

لم ينطل عليه، أنها سارعت تلبية لنداء لم يطلق. وإذ عادت بدت أقوى وهي تقترب من المزهرية الزجاجية، يداها متصلبتان، أصابعها متوفزة.

"ستأتي أمي بعد قليل "

يدرك، بلا عناء ولا مظاهر، أنها تحتمي بأمها، أمها التي ليست في الداخل، و لم تكن، وهي إنما تتظاهر بالشجاعة، وتتهيأ، عند أقل بادرة منه، كي تكسر المزهرية على رأسه وتنشب أظافرها في وجهه. كانت قد خرجت عن سياق قصصها. كانت، دون أن تدري، جاهزة للضياع.

"أنت لا شيء بالنسبة لي " قالت مهددة.

"أنت كل شيء بالنسبة لي " رد مهدداً.

ثم، بصوت لم يحاول أن يكون مثيراً، وإنما ضعيفاً رقيقاً ليناً، صادر من غور قلب صوحته حمى الغرام وصرعته، قلب لم يعد يملكه.

"ليست حياتي كلها سوى قصة حبي لك "

أكان يهذي بصوت غيره؟! آخر أعياه الحب و لم تعه الفطنة. أم يكسر صمت حب نما مكتوماً على صفحات قصصها؟!

لم يكن يهذي، كان يتذكر.

يسرد عليها من الذاكرة، كيف رآها في حديقة السبكي في يوم خريفي، ندوة أدبية في ليلة صيف، عتمة سينما الكندي في حفلة سواريه، شارع الصالحية عصر يوم غائم. وكان يتذكر أنه يدعي.

"أراك ولا تريني "

يلاحقها من مكان إلى مكان، من فصل إلى فصل، من زمان إلى زمان، متعثراً بحبه وخجله، أبعده عنها زواجها وعزلتها.

"كان البعد مسلاتي "

وقربته منها قصصها وصورتها.

"والقرب عذابي "

يسيجها بحب مهووس، بطله شاب ممسوس، سبي الحب قلبه، يستخلص مما كتبته، ليالي ندمها وأرقها، ولعها وحرمانها، خلجاتها ومخاوفها وتنهداتها ...

"تواقة إلى ما لم تنلي، ينم الدمع عن سرك، عقلك رقيب وزاجر، وفؤادك رهين بلبال "

يالفضيحتها !! سحقاً للقصص.

شاحبة، فاترة الأجفان، صقيع كالموت، تائهة على صفحة كبياض الموت، يكتبها عنها وبالرغم منها.

يالضياعها على الورق.

ورؤوس أصابعه، تلمس شالها، روبها، مرفقها. كان شيء منه يلمس شيئاً منها. يكتب

"أنا الكلف بك، الهائم فيك، الصب الوله المستهام "

يكتب

"أنا من ضرم الحب أنفاسي واستوقد الوجد ضلوعي "

يكتب

"خبلني العشق، دلهني وولهني، وأزهف عقلي "

تشهق، تقاوم بلا جدوى، لغة تقاصصها الحساب، تقتص منها وتثأر لنفسها. يالعبث النضال ضد اللغة!! تصطك أسنانها. يالألعاب

الكلمات وسطوتها !! تتضرج أعضاؤها – ياللعجب !! ـــ بحميم البيـــان وحمّات البديع.

يتوسدها، يكتب شيئاً، سيتذكره دون إدعاء.

أنفاسه تبري عظامها، شفتاه تفري شفتيها. لا تدفعه عنها، ولا تتقيـه يالبؤسها !! أيتها الشهوة التي تغص بالنشوة، يالهذا السقوط البالغ والبليـغ، أو، اصرخي ... ياللبأس الباطل.

ذروة تخيلها ... أزرار تتفلت من عراها، حمالات تتقطع، بطانـــات تنقلب، مطاط ينفتل، ما يمزق وما يتمزق، ما ينكشف وما يتكشف، مـــا يحمر وما يتحمر، وما يتلألأ بياضه وسواده. ذروة يتهاديان إليـــها، عـــبر عرق يسخن ويبرد، ودم يغلي ويفور، ونسيمات لا تتخلل جسديهما.

مع خيوط الفجر، همهمت بشيء، بدا وكأنه طائر يدف في أسماعه.

"أهو حلم؟! " تساءل.

"أكثر من حلم " أجابت.

نهض، ورأى الحلم، وامرأة أروع من أي امرأة حلم بها، توشـــــحت بغلالات من ورد، وتلفلفت بأوراق من ذهب.

"متى سترجع؟ " قالت ساهية الطرف ومن الحلم.

"هل تتذكرين قصتي؟ "

"ألم تنته؟! "

"هناك فصل أخير "

Abu Abdo Albagl

٢٣. سأفترض

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

هناك، على مرمى البصر، تلوح مشارف الفصل الأخير، أعرف أنهم يحاولون استدراجي إليه، أعرف أنهم ينتظرونني، ينتظرون مني ولوجه، أعرف أنني مهما حاولت تفاديه، أو التأخر عنه، فهو قادم.

وأنا قادم، سألخبطه. لذا، سأفترض ...

سأفترض أن المطرب لم يخذلني بل كان عند حسن أسوأ ظنوني، وسأفترض أنني قدمت له معلوماتي، أي أنني سلمتها بواسطتي إلى أحد الأجهزة، وليكن ج/٣ مثلاً، وهكذا أصبحت عميلاً لهم. سأفترض أنني سوف أتشاطر وألعب دور عميل مزدوج.

إذاً، كيف يكتب المنسق الفصل الأخير، وهناك من سيكتبه؟! ما يجهله المنسق ومعه مستشاره، هو أنني أنا الذي سأكتبه، لأسباب إبداعية وأخلاقية، لدي الموهبة اللازمة، وأضع نصب عيوني هدفاً إنسانياً لن أحيد عنه.

أقدح زناد فكري في قصة أكبر، بحيث لا يكون للقصص الصغيرة مطرح. أقدح زناد فكري في قضية أكبر، لها الأولوية، تحيل القضايا الأخرى إلى ملفات الانتظار.

السؤال الذي لم تسعفني الظروف بطرحه على المطرب ولن يستطيع أصلاً فهمه. لماذا تعمل مجموعات الداخلية والأجهزة خفية عن بعضها بعضاً؟! وعلى الأغلب لن أستطيع طرحه، أضيف إليه الآن، إذا كانت الأجهزة نفسها تتنافس فيما بينها وإلى حد ما تتصارع، فهي أجهزة رغم أنها سرية، معترف بها. أما الداخلية؟! الداخلية؟! هل هناك اعتراف بنشاطاتها؟! إذا كان، فلم تتستر على مجموعاتها، ترى هل تستعمل الداخلية وسائل هي غير مخولة باستعمالها ولهذا تعمل بتكتم شديد،

وكأنه، غير معترف بمجموعاتها ولا بنشاطاتها؟! إذاً، سأسمح لنفسي، أن أفترض أن الداخلية تتعدى على اختصاصات الأجهزة.

ودلف إلى حارته.

هينمات الصبح، وروائح شحم وجلد وكاوتشوك وصدأ وسخام، وعلى أديم الهواء الثقيل تشوح نظرات، عينان ترصدانه.

أنا مراقب.

صوت عجلات عربة تكرج خلفه، وأقدام تدب على الأرض. وقبل أن يظهر البائع المتجول دافعاً عربته.

سأفترض أنه المراسل الذي يعكرني مرآه.

البائع المتجول يتجاوزه، يجنح بعربته، ويسد الطريق في وجهه.

"الغرض بليرة " هتف المراسل مشيراً إلى ما تحمله العربة من أغراض.

"لقد افترضت هذا " تمتم راضياً.

"ماذا قلت؟! " سأله المراسل.

"قلت، أنني لا أريد شراء شيء "

"كما ترغب" تلفت يمنة ويسرة "أين بت ليلتك البارحة؟" سأله بمكر جم.

"كنت محتجزاً لدى ج/٣ " كان قد كتب مطلع الفصل الختامي. وأيضاً، كأنه ضرب المراسل على أم رأسه.

"ما ... ما الذي ... ما ... " تمتمه المراسل برعب جم.

"اعتقلوني بتهمة انتحال صفة رجل أمن "

"هل بحت لهم بشيء؟ "

"لا "

"إنهم يشكون بك، هذا كل ما في الأمر "

"إنها ليست شكوكاً تتعلق بي وحدي، يعتقدون أن الداخلية تتجاوز صلاحياتها "

كان قد خض المراسل.

"غير صحيح " سارع المراسل المخضوض.

"يقولون أن الداخلية تتعدى على اختصاصاتهم "

"لماذا يقولون لك هذا؟! "

"طلبوا مني أن أكون عميلاً لهم، إنهم على علم بمجموعات العمـــل، يبدو أنها ليست سرية، خلال أيام سيفتكون بالمجموعات كلها"

احتقن وجه المراسل، عيناه ترمشان، يفتح فمه ويغلقـــه دون كلمـــة واحدة.

"أعطوني مهلة يوم واحد للانضمام إليهم "

رأس المراسل يلوب يمنة ويسرة كحشرة ضخمـــة، ويلعـــق شـــفتيه متوتراً.

"لن تقبل أليس كذلك؟ " وطفق يتعرق بغزارة.

"هل بإمكاني ألا أقبل؟ "

"مؤقتاً، حاول أن تجد مكاناً تختبيء فيه "

"سيجدونني "

"يوماً أو يومين، ريثما ندبر لك مخبأ أميناً "

"أبوسع المنسق إنقاذي؟! " همهم في وجه المراسل " أقصـــد إنقاذنـــا جميعاً؟ " تابع "يجب أن أقابله فوراً أريد أن أعرف ما الذي أقوله لهم علـى وجه التحديد "

"انتظر حتى الظهر "

"سأنتظر "

والمراسل يدفع عربته خارجاً من الزقاق، كان قد أنجز بنجاح الحركـة الأولى من الفصل الأخير.

في استراحته التي امتدت إلى ما قبل الظهر بقليل، كان قد أعطى المنســـق مهلة يجري فيها اتصالاته. أثناءها، افترض مسار الحركات التاليـــة في لعبـــة أصبح صلة الوصل بين طرفيها، وستكون مهمته تنفيذ تعليمات المنسق الـــذي سيطلب منه تضليل ج/٣ بمعلومات كاذبة وتضييع الوقت، ريثمـــا يلفلـــف

المؤامرة. خلالها، ومن طرفه، سيبقي ج/٣ بالمرصاد لفرق عمل لم تعد سرية وإنما مطلوبة، وإذا اقتضى الأمر، فمطاردة، وسيمضي الزمن على المنسق مستمراً على كرسيه، ينتظر رجال ج/٣، ودائماً على وشك أن يظهروا.

عندما دخل غرفة المنسق، كاد أن يرتد على أعقابه، ليس لأن المنسق لم يكن داخلها بل لأن الغرفة بدت وكأنها استبدلت بغيرها، أشبه بمستودع لوازم قديمة، مناضد وكراسي وضعت فوق بعضها بعضاً، ومعها أثاث مستهلك، ستائر بالية، وخزائن وكنبات مهترئة وطراريح حشيت بينهم.

وما الحركات التي افترض أنها تالية، سوى أنها بدلت مسارها على نحو مباغت، مخلفة وراءها عبق رائحة سيكار؟!

الباب ينفتح من خلفه، يدخل شخص، ربما كان المنسق أو المراسل، سيفسر له اللمسة الأخيرة ويُعِدّه للتعليمات الجديدة. استدار نحوه، لم يكن أحدهما، كان سليم أفندي بجسده الضئيل مشرئباً برأسه، مزموم الملامح.

تروى، وقد دخل سليم أفندي السياق، مبرراً بعصبية، مقرعاً إياه على تركه العمل أكثر من أسبوعين، بلا إجازة ودونما إعلام. يستوعب شيئاً فشيئاً أن سليم أفندي قد تنصل من الإجازة ومعها أمر نقله، ومهمته. ثم، زيادة في التعمية، بذل سليم أفندي جهداً كبيراً كي يغض النظر عن غيابه الذي طال، اضطره إلى تغطية مخالفته، متحملاً مسؤولية جسيمة، كرمى لعدنان بك، فإن له ديناً في عنقه.

" أنت في قيود الدوام لم تنقطع عن عملك" يجيل بصره، يقترب منه محذراً "لا تقل هذا لأحد إنه سر بيننا" وبصرامة، يشير بإصبعه نحو الباب "اخرج، ما الذي تفعله هنا؟!"

"كنت أريد مقابلة الرفيق نعمان "

"الرفيق نعمان أرسل في مهمة إلى المحافظات منذ أكثر من ستة أشهر" وبعق في وجهه "ما الذي تريده منه؟! "

"هو الذي يريدني "

"إنه لا يريدك، هل تعرفه؟! "

"لا، لا أرغب في معرفته "

موقناً أنه يتواطأ عن عمد مع التصحيحات الأخيرة. الآن لم تعد ... وبشكل أدق، لم تكن له علاقة بالرفيق نعمان، لم يعرفه أو يراه، و لم تكن هناك مهمة ولا فريق عمل، والمراسل أعادوه إلى المكان الذي استعاروه أو استأجروه منه. كلٌ، عاد، أو رمي به في مكان ما.

"حسن أفندي، سوف تكون على رأس عملك غداً صباحاً "

وها هو أسوة بهم سيعود إلى الأرشيف.

افتراضاته لم تذهب سدى أتت ثمارها في تلك التبدلات الجذرية التي بدأت وانتهت فجأة، وانسحبت آثارها إلى ما قبل ستة أشهر، فرق العمل فككت بمهارة، وعلى التأكيد أُتلف كل ما له صلة بالمهمة، وليست الحركات التي تسارعت سوى أنها فاقت افتراضاته وتقدمت بشكل آخاذ وحثيث، وعجلت على مؤامرة طويلة عريضة خلال ساعات معدودات، على أكمل وجه، بلا طنة ولا رنة.

يمضي خفيفاً كما كان يوماً، لن تؤرقه بعد الآن سوى قصص الغرام والشقاء. يرغب في شيء واحد، متابعة طريقه إلى جيهان كي يزف إليها خبر انتهاء الفصل الأخير على ما يرام.

اقترب من ساحة الشهبندر ودفعته عنها شمس الظهيرة. لا، لن يراها تحت هذا الوهج، سيمرر الوقت، في منتصف الليل سيستعيد ليلته الفائتة وفأله الطيب تحت أضواء اللمبات في توقيتها المحظوظ.

لم يهدأ، من شارع إلى مقهى، من زقاق إلى مطعم. ويكتشف في حارة مسدودة، أنه لم يكن يمرر الوقت وإنما كان يبحث عن اصطفاني ليبثه قصة حقيقية، وأغرب من الخيال. يدرك متألماً أنه لم يعثر على أصطفاني، ويدرك رغم خروجه من ورطته سالماً، أنه ابتلي بخسارة لا قبل له عليها، لقد فقد الشخص الوحيد الذي تمناه إلى جواره في مغامرة لا

تكتمل إلا به. ألم يشارك بها؟!

والليل يهبط لم ييأس، اندحر إلى روكسي، الأمل يراوده، سيجده هناك في البؤرة التي صادفه فيها مرة، يلتقيه، ويحتفلان معاً بنجاحه ونجاته، ثم يودع جولييت والمطرب وأبو سمعان.

هذا هو، ينعطف في دخلة روكسي. هذا هو، على بعد أمتار من روكسي. الليل يَسْوَد، ومن سواده يبرز رجل يندفع نحوه. هذا هو، يتفاداه ولا يعني بالنظر إليه. هذا هو، لم يبلغ روكسي بعد. الرجل يصدمه بكتفه، الرجل يمسك بكمه ويشده بعنف نحو الحائط. هذا هو، يغطس في العتمة مكبل الساعدين بقبضتين حديديتين. هذا هو، رأسه إلى الجدار وكتف الرجل تطبق على حنجرته.

" اصغ، لا تفتح فمك. "

تكلم الرجل وفاحت رائحة اليانسون، كان الرجل هو المطرب وكالمعتاد، سكران.

تبادر إلى ذهنه أن المطرب أصابه لاعج. حاول أن يتملص منه بوثبة يائسة، لم يرد إيذاءه، لكن المطرب كان قد ثبته على الجدار، عيناه تلمعان بشرر فاجر، في منظر مثبط للعزيمة، ينجلي في العتمة متراكباً بالشر والقسوة، المطرب يثأر لنفسه، وهو يهوي على وجهه بشفتين متورمتين.

تهيأت أمام عينيه مراحل الانتقام الرهيب، سيبدأ بتعذيبه بتقبيله من رقبته، صعوداً إلى شفتيه يغلق له أنفاسه، ويقتله خنقاً واشمئزازاً. استعد لنطحه، شفتا المطرب تمس أذنه، ويقول شيئاً. لم يسمع من شدة فزعه سوى اختلاجات صوت المطرب.

" لم أسمعك "

"اهرب، لا تدخل روكسي، هناك رجلان ينتظرانك في الداخل"

من يكونان؟! تذكر المنسق والمراسل. وتذكر بمضض أنه أخطأ في حق المطرب ثانية.

"أليس أحدهما بائع المسكة؟ "

"لا، بائع المسكة يعمل في الداخلية، أما هذان فهما من المخـــابرات، بوسعك رؤيتهما عندما أدخل "

وقف بعيداً مواجهة روكسي، فتح المطرب الباب، تلبث قليلاً. مـــن خلال الدخان لمحهما عريضي الأكتاف، متجـــهمين، بشـــاربين كثـــين وخصراهما مقببان.

وكأن ما افترضه، انقلب عليه، بحقيقة من رجلين يبحثان عنه.

هذا هو، يقول: جيهان، ما زال هناك فصـــل، ولا أدري إن كـــان الأخير.

Abu Abdo Albagi

Abu Abdo Albagl

٢٤ . أعلم أنك هنا

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

أكداس المصنفات، الأقلام والمحبرة، عدة الشاي والقهوة، ودوسيهات مفتوحة على الطاولة وفوق الأرض. على الفراغ، سكون خامد وصمت جاحظ. تمالك على الكرسي، يحيط به ورق رطب، وجدران رطبة، وملفات تضيّق عليه وتربّط يديه.

يرى نفسه، كعهده، منكباً على الأضابير يغلق واحدة ويفتح أخرى، يقلب أوراقها، ورقة تلو ورقة، يرمي عليها نظراته، ثم يرميها إلى مثيلاتها، لا جديد فيها سوى أن كل إضبارة تفرد عفنها وعطنها، مضمونها نسخة طبق الأصل عما سبقها. ودائماً، مكتوفاً أمام تلك العين الساهرة التي لا تنام ولا ترضى، الداخلية التي تحذر وتمنع، تراقب وتهدد، وتلوح بأشد العقوبات، ثم تضرب بيد من حديد، مواطنين لا يرعون ولا يتعظون، يستصرخونها دون مجيب، جاهلين أن الداخلية التي لا ترحم ولا تشفق ولا ترأف، ليست غافية وإنما لا تسمع، وهي في شغل عنهم بالقضاء على الفتن والفوضى والشائعات في مهدها.

هسهسة خفيفة، وصريف خامل.

"أعلم أنك هنا "

ظله مسترخ على الجدار، وظل يتطاول إلى جواره، تكاد أكتافهما أن تتلامس، الرجل الضالع ظل يتضاءل.

"نقلوا المنسق، والأرض انشقت وابتلعت المراسل، لم يبق من فريق العمل سواي. أنا، كما تراني، مختبيء في الأرشيف. أنتظرهم وحيداً "

الظل يتململ، ويرمقه بعيون نحاسية لعوب، مدمدماً بصوت أخرس، يفسر له مغامرة استهلت فصولها واختتمتها في الأرشيف. الظل يصلصل

ضاحكاً.

" الحالة إياها، لقد غدرت بي اغرب عن وجهي " قال للظل.

وكأنه استيقظ لتوه مفجوج الرأس من إغماءة طويلة ضربته هنا في القبو وطاحت به أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، بين روكسي وساحة الشهبندر ومقاهي ومطاعم وشوارع، معانياً من دبق الخيال.

ترحال دائب، من تهويمات أرشيف مكتظ وروتين قاتل، وروح كادت أن تزهق، لولا أنه استعار من أوراق دائرة التحريات اسم الرفيق نعمان، ومن صورة امرأة على معاملة جواز سفر، الصوت النسائي الناعم وأحلام الغرام، ملفقاً كوابيس الرعب من عرائض الظلم والجور، دليله الرجل الضالع في مشوار الخيال وأمراضه وإغراءاته، خيال كان من مضاعفاته وذيوله، أحداث لم تحدث، وأشخاص تبخروا وأمكنة تقوضت، وقصص لم تقرأ، وليلة ما كان أروعها، وللأسف لم تكن.

تباً للخيال ... يالخيبتي !!

الرجل الضالع يضطرب، وينثني حانقاً في ظله.

"أنت تذهب، أنا أبقى، أبقى في خواء، أبقى كعهدي، منكباً على الأضابير، أغلق واحدة وأفتح أخرى، أقلب أوراقها، ورقة تلو ورقة، أرمي عليها بنظراتي، ثم أرميها إلى ما سبقها وهلمجرا ... ما هذا العيش؟! "

الرجل الضالع، ظل يشحب، يتآكل في لطخة عتمة.

"فلينبذني الخيال، لا أريد حتى القليل منه، قليله ككثيره، قليله كهذا الذي يتسلل الآن، أراه يدلف من الباب، لا، إنهما اثنان، هما الرجلان اللذان رأيتهما البارحة في روكسي، يدلفان من بقايا خيالاتي"

يندلقان كخثرتين رجراجتين، الأولى تزحف صوبه، والثانية تتجمد عند الباب.

" مخلفات-حالة ما فتئت أضغاثها تتراءى، وهذه شوائبها "

لم يتابعا دورتهما ويخرجا من بعدها، و لم يتواريا. الرجل الأول يترسخ

منجعصاً على الكرسي، والثاني يتسمر في مكانه. لم يتزحزحا، الرجل الأول يمد قدميه فوق كوم مصنفات، والثاني يسد فتحة الباب وكأنه يمنعه من الهرب.

الرجل الأول يرمقه بثبات يتنحنح ويقول:

"ثمة أمور تدور في الداخلية "

يتسللان خلسة وأحدهما يتطفل عليه !!

"أمور ... ما هي؟! "سأله بملل.

"مريبة، لا تعجبني، ولا تعجب من أرسلوني، تجاوزات يقوم بها موظفون كبار، من المؤسف أنهم كبار، يستغلون مناصبهم باستخدام موظفين صغار لتحقيق مآربهم "

"مآرب شخصية " سايره.

"مآرب خطرة جداً تمس أمن الدولة "

ويمارس الدور الذي اختاره له !!

"أنتما تابعان لـ ج/٣"، قال مداعباً

"هذا لا يهمك "

"ج/٣، أليس كذلك؟ "قال مناكفاً.

"شيء من هذا القبيل "

لو لم يبتكرهما البارحة لكان هذا الموقف عصيباً وعصياً.

"حسناً، أنا واحد من هؤلاء الموظفين الصغار "

"أنصحك ألا تخفي شيئاً "

لم يكن ينصحه، كان يتوعده. الأحمق ألا يدرك بأنه هو الذي وضع هذا اللغو في فمه؟!

"أطمئنك إلى أنني لا أعرف شيئاً "

"لا تتسرع، هذا ليس وقت الشجاعة والبجاجة "

"أنا لن أتعامل مع أشباح " وأطلق ضحكة شامتة، وتوقع أن يغورا في الهواء.

" نحن مضطرون للتعامل معك، مجموعتك اختفت، لم يبق عداك، إذا رفضت التعامل معنا فلدينا أشياء ضدك، أشياء لن تسرك "

وكأنه موقف ميؤوس منه، لكن يحدث لشخص آخر في عالم آخر.

"ماذا لديكم؟ "سأل بخفة

"تهمتان "

"فقط " عقب بانشراح وكأن التهمتين غير كافيتين.

"تهمتان قذرتان "

"هل تفيان بالغرض؟ " تساءل مازحاً.

"الفتاة التي تعمل في روكسي تقول إنك أجبرتها على ممارسة الرذيلة، وشاب يعمل مغنياً في الأفراح اعترف بأنك ورطته في علاقة شاذة "

لا، لم يخطر له على الإطلاق أن يضع مثل هذا اللغو في فم أي كان، ولم يفترض لغواً طائشاً كهذا وإنما هذا الخيال يتجاوز حدوده ثانية.

لكن، ماذا لو كان هذا الجالس المنجعص الذي يتكلم بإيقاع بطيء وسمج، حقيقياً؟!

"ما الذي تريده؟! " سأله ممتحناً.

"القضية التي كنتم تسعون إليها "

تواصل الإيقاع منذراً بالقاع الخانق من جديد ومرة واحدة. المؤامرة، القائمة، عدنان بك، مسيرة هذه عناوينها.

"ما هذا الغبار؟! " نفض الرجل يده وفعل الآخر مثله.

نقل بصره بينهما، تلامحا على شفا التخلع في غبار يعج، أو أن عجيج الغبار سيتخلخل وينجلي عن رجل ما زال يسأل ورجل ما زال يراقب. غبار

يحط فوقهما، غبار يحيط بهما مسدلاً عليهم غشاء مبرغلاً وغبشاً.

يثبت عينيه عليهما، مهيمناً على رجلين باتا رهيني بصره وقابلين للتفسخ، رجلين حقيقيين، بقدر ضئيل، معلوم ومعدوم، ومتكئين على قشة، على كلمة منه، يكفي أن يعترف بهما حتى ينوجدا، أو ينكرهما حتى يقودهما إلى رمقهما الأخير.

لِمَ يحتملهما ... وكلمة واحدة تمسحهما؟!

يرى، أنه في اللحظة التي سيفعلها، سوف يتهاوى في فضفضة فراغ لا قرار له، إلى هوة أمان مشبع بنثر رتيب وفظيع، ومتخم بذلك المنطق السديد والمريع.

يرى، في اللحظة التي لن يفعلها، ستصبح ج/٣ حقيقة واقعة، حقيقة لا مراء فيها ولا مهرب منها ولا نكوص عنها، ورعب لا آخر له ولا بديل عنه.

تكفي نفخة واحدة كي يتطايرا كالغبار، مع الغبار.

على قاب نفخة أو أقل. ما الذي جلب انتباهه إلى سطح الطاولة؟! ما الذي شد بصره إلى ذلك الشيء الدقيق المتعرج والمطرز بالغبار كي يلتصق على حدقتيه ويرى بصمات أصابع ... بصمات أصابعها؟!

كانت واضحة، وبالوضوح نفسه، يدرك، إذا محا هذين الرجلين، فستنمحي معهما بصمات أصابعها، يتخلص من ج/٣، ومعه جيهان.

انتظر أيها القدر ... كل ما جرى ويجري، حقيقي.

"قضية؟! أي قضية؟! إنني أجهلها "

"لن تجهلها، سوف تتذكرها حتماً" سكت لحظة "استعد للذهاب معنا "

الفصل الأخير الذي ترحرح طويلاً، وترجرج كثيراً، استقر أخيراً على نهاية اتخذت سبيلها كشكلية صغيرة تداعت في منتهى اليسر.

نهض الرجل، ونهض معه.

جلبة تتمطى، خربشات تتكأكأ، وحيز يقتطع من نهاية تتلكأ، دمدمة ورق وصرير حروف ... وفصول. الحيز يتمدد في نهاية تنتفض على نفسها ولا تجد محطاً، تنقذف بعيداً، لا تتلاشى، مجرد أنها لا تُرى.

"أعلم أنك ما زلت هنا "

على الجدار أربعة ظلال.

الرجل الضالع، يلعب لعبة صغيرة، يخفي النهاية أو يؤجلها، أو يحلول تسخينها بإضفاء بعض التشويق هكذا يبدو.

الرجل الضالع يقف حائلاً بينه وبين الرجل الأول، ويدفعه بعيداً عنه.

"أنت في الهامش، " قال الرجل الضالع.

"ما الذي أفعله في الهامش؟! "

"تستطيع الهرب "

"هل هذه نهاية؟ "

"إذا اخترقها "

"قبل حين، فكرت في هذا الأمر على نحو آخر، أنا لن أهرب "

"احترس هذا هو الفصل الأخير، وسوف تختفي فيه "

"هل سأعود؟"

"ربما "

"ربما !! متى؟ "

"ذاك لغز لسنا بصدده "

"إذاً نحن بصدد ماذا؟! "

"أولاً، من الآن فصاعداً، كل كلمة محسوبة عليك. ثانياً، لا تبتأس يا صاحبي.

أما الآن، فاخرج من الهامش."

٢٥ . أوصيك بالدقة

Abu Abdo Albagl

Abu Abdo Albagl

جيهان، سأقول لك يوماً، أنني إذا كنت قد اخترت الشـــقاء، فقـــد اخترت الأمل، وربما أجد طريقي إلى هذا اليوم، ربمـــا اســـتطعت ردم ثغرات وصدوع لم أتغلب عليها، و لم أجد لها تعليلاً مقنعاً في حينها.

هل لم يوجد أصطفاني قط وصداقتنا لم تكن إلا وهماً؟! كذلك الرجـــل الضالع، الضالع في حياتي وحالاتي وشطحاتي وافتراضاتي، الضـــالع إلى الآن، من هو؟! وأيضاً، تلك الأمور التي لم يفصل فيها، قضية عدنان بـــك الـــتي سأنفيها، ما الذي سينجم عنها، وما الذي سيحل به؟! كذلك جولييـــــت والمطرب، إنني من فرط إساءتي لهما، عاجز عن الاعتذار إليهما، أنا مديـــــن لهما بمآسي، لولاي، كانا وفراها على نفسيهما.

جيهان، ما أقل ما أفهمه وما أكثر ما أجهله ...

أعرف أن الحقيقة لن تنقذني، للحقيقة سلطانها وغلواؤها، كمـــــا أن للخيال أضاليله ومتاهاته. وأعرف أيضاً أن ما تعجز عنه الحقيقـــة يتـــولاه الخيال.

جيهان، يوماً ما، عسى ذلك اليوم أن يأتي ويجد طريقه إليّ، ســـــأتلو عليك قصتي، لا أدري كيف ستستمعين إليها، بعيون لم يغادرها الحلـم، أم بوجه لفظني مع الحلم؟! ربما لن تنتظري ذلك اليوم، أما أنا فقد كتب عليّ انتظاره ... وقد لا يأتي.

أقول لك، لن أنتظره، أنا ذاهب إليه.

الطريق إليه سالك، بدايته تتشكل في مشهد :

الرجل الأول يمشي في المقدمة، أنا أمشي خلفه، الرجل الثاني يتبعـــني، الرجل الضالع يسير محاذاتي.

"سأمشي معك بضع خطوات " يقول.
الرجل الضالع يجر حملاً ثقيلاً.
"ما الذي تجره؟! " أسأله.
"أوراقاً بيضاء "
"أوراق !! هل هذا ضروري؟! "
"ستكتب عليها "
يفلت الحمل من يده، ويتوجه نحو الغبار.
"تتركني وحدي " أعاتبه.
"هذا هو الوقت المخصص لك حالياً " يلتفت " لقد قارب على الانتهاء" غلالة غبار تفصل بيننا، يزيحها "اسمع جيداً"
"ليتني أصاب بالصمم " أرد مناكداً.
يقترب نحوي ويلصق فمه في أذني.
"أوصيك بالدقة "
" الدقة !! لماذا؟! "أسأله نافد الصبر.
"في ذهنك الآن قصة " يقول.
"قصة، وهذا حالي !! "
"لا تفلتها، هذا وقتها "

وبلمحة، تتراءى قصة، قصة قصيرة، عناصرها كاملة في رأسي لا ينقصها إلا أن تنقل إلى الورق، لكن نهايتها تتعثر، وتقودني إلى قصة أخرى (الرجل الثاني يدفعني) القصة الأخرى تتعثر بأخرى وهكذا ...

ألاحظ أن كل واحدة مشكولة بما بعدها وعالقة بما قبلها، وكأن القصة وهي تبحث عن نهاية تسقط في بداية، تتولد منها قصة أو تتشعب إلى قصة ... أو قصص، تتطاول وتتمدد وتتشابك. أقول للرجل الضالع، تبدو رواية وليس قصة.

كان قد ذهب.

تبدو، أو أنها، رواية، رواية بسيطة (الرجل الأول يستعجلني) رواية

(ماذا كنت أقول؟!) أقول رواية بسيطة وسهلة، جذابة قليلاً، مبهمة بعض الشيء، وواضحة جداً، ذات بناء متين، وتركيبة معقدة ... وتبحر في خيال وفير.

جيهان، اسمعيني، أو ستسمعينني يوماً. أما الآن، فأنا أسأل نفسي متعجباً ما الذي سيجمع بين الإبهام والوضوح، البساطة والتعقيد ... والخيال؟! أتذكر أنه أوصاني بالدقة، أفكر في جواب دقيق، أفكر بعمق.

أجد صوته في العمق.

"فكر في الجملة الأولى "

أسمع صوته من العمق.

"أكتب "

جيهان ... هل سأكتب غباراً على غبار؟!

"اكتب "

أغالب الغبار

"اكتب "

أم أختلق الغبار؟!!

"اكتب "

جيهان ... لا تخذليني، أنا الولد الجاهل ذاهب إلى المجهول.

"اكتب "

هاهي ...

هاهي، الجملة الأولى، آذنت بالظهور.

Abu Abdo Albagl

هذه الرواية

عن الغبار والورق.

أيضاً عن القصص، كيف تكتب وتلفقّ، مع قدر من سلطة الخيال وتسلطّ الغرام، في أحداث تتطور بقدر ما تتشتت الى قصة أكبر، تدور حول القصص السرية وكيفية إخراجها.

وسواء تآزر الخيال والواقع مع الولد الجاهل أو ضده، فلن يفتقر الى الايمان المنطرق بالشقاء والأمل.

إن الكتابة وحدها، ودائماً، لاتتضاءل أمام المجهول

الناشر

الصورة للفنان النمساوي جوستاف كليمت